@Tafsircenter

منهج البلاغة الساميَّة في تحليل بنية القرآن الكريم

دراسة تطبيقية على سورة الحجرات

محمد يسلم المجود

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

مقدمة:

منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم من أحدث المناهج الغربيّة التي تُعْنَى بدراسة بنية القرآن الكريم المادية دراسة تزامنية (Synchronic Approach)، وتسعى إلى فهم أساليبه البلاغية والتركيبية المختلفة في الحقبة التاريخية التي نزل فيها.

وقد استخدم هذا المنهج أول الأمر في مقاربة نصوص التوراة والإنجيل، وتاليًا في دراسة نصوص من الحديث النبوي الشريف.

أمّا توظيفه في مقاربة نَظْم القرآن الكريم وبنيته التركيبية، فلم يبدأ إلّا في نهاية القرن العشرين على يد المستشرق البلجيكي ميشيل كويبرس.

وقد استعرضنا في دراسة سابقة الأسس النظرية والمنهجية، التي يقوم عليها منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم كما طبّقه ميشيل كويبرس، وبيّنَّا بعض المآخذ النقديّة المتوجهة إليه، على المستويين النظري والتطبيقي[1].

أمّا هذه الدراسة -التي تعدُّ استكمالًا للدراسة السابقة- فنخصّصها للتطبيق العملي لهذا المنهج على **سورة الحجرات**.

---

(١) راجع بحثنا السابق: منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم؛ دراسة وصفيّة نقديّة، وهو منشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط: https://tafsir.net/research/41.

وقد اخترنا التطبيق على هذه السورة الكريمة لسببين؛ **الأول**: أن أكثر الاعتراضات التي يثيرها المستشرقون حول بنية القرآن الكريم تتعلّق أساسًا بالسور المدنية. أمّا **الثاني**: فيتعلّق بالبناء على ما قام به ميشيل كويبرس في تطبيقه لهذا المنهج، ذلك أنه اتخذ من السور المكيّة القصيرة ومن سورة المائدة المدنية الطويلة =ميدانًا لتطبيق هذا المنهج، إنما لم يقم بتطبيقه على السورة المدنية المتوسطة، وهذا ما سنقوم به في هذه الدراسة.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من نَواحٍ ثلاث؛ **الأولى**: أنها تقدم نموذجًا تطبيقيًّا لمنهج البلاغة في تحليل نظم آي القرآن الكريم. **الثانية**: أنها تسعى إلى تقييم هذا المنهج من خلال التنبيه على بعض الأخطاء والثغرات المترتبة على تطبيقه. أمّا الناحية **الثالثة**: فتتمثّل في كونها تستأنف باب التفاعل مع طروحات ونتائج هذا المنهج، وما يمكن أن يسهم به في تدبّر نظم القرآن الكريم، وفي مناقشة بعض قضايا الدّرس القرآني المعاصر.

أمّا المنهج الذي سيتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي ينطلق من قراءة النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة وتحليلها تحليلًا نقديًّا ما وسعه الجهد، غايته في ذلك فتح باب للنظر في الأسس النظرية والمنهجية التي يقوم عليها التحليل النصّي لنظم القرآن الكريم من منظور البلاغة السامية.

إشكالية الدراسة:

المشكلة التي يدرسها هذا البحث هي: إلى أيّ مدى يمكن أن يسهم التطبيق العملي لمنهج البلاغة الساميّة في تقديم فهمٍ أفضل لبنية القرآن الكريم، وفي دحض الفرضيات الخاطئة بشأنها؟ وتُبْنَى على هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، منها: ما منهج البلاغة السامية؟ وما مصادره؟ وما الخطوات العملية في تطبيقه على القرآن الكريم؟ وما ثمرة تطبيقه على القرآن الكريم؟ وما أبرز الاستدراكات والملاحظات المترتّبة على تطبيقه في دراسة بنية القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تسلِّط الضوء على واحد من أحدث المناهج الغربيّة المعاصرة في دراسة بنية القرآن الكريم، وتعرِّف الباحثين في العالم الإسلامي بمنهج لا يزال -رغم أهميته- غير معروف على ساحة الدرس القرآني المعاصر، وتحاول استكشاف آفاق استثماره في دراسة نظم القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بمنهج البلاغة الساميّة.

٢. استكشاف فائدة تطبيق منهج البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم من خلال نموذج تطبيقي.

٣. تقديم جملة من الملاحظات النقدية المترتبة على التطبيق العملي لمنهج البلاغة السامية على القرآن الكريم.

٤. عرض بعض مجالات استثمار منهج البلاغة السامية في الدرس القرآني المعاصر.

خطة الدراسة:

ينتظم هذا البحث في ثلاثة أقسام، تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة.

مقدمة البحث: عرَضْنا فيها فكرة البحث، وأهميته، وأهدافه، والإشكالية التي يطرح.

القسم الأول: مدخل تمهيدي حول منهج البلاغة السامية: نتناول فيه المفاهيم الواردة في عنوان البحث، ونقف عند نشأة منهج البلاغة الساميّة، وأسباب نَقْلِه من مقاربة النصوص الكتابية إلى مقاربة نظم القرآن الكريم، ونعرض بإيجاز الأسس النظرية والمنهجية التي يقوم عليها.

القسم الثاني: تطبيق منهج البلاغة الساميّة في نَظْم سورة الحجرات: هذا القسم هو أساس الدراسة، حيث نقوم من خلاله بتطبيق الأسس المنهجية للبلاغة الساميّة في دراسة نظم سورة الحجرات، ومحاولة استكشاف بنيتها التركيبية.

نقدّم أولًا لمحة إجمالية حول السورة، ثم نقوم بتحليلها من منظور منهج البلاغة الساميّة، طبقًا للوحدات الدلالية التي نعتقد أن السورة تنقسم إليها، ونختم بعرض الروابط الشكلية، والموضوعية الإجمالية، التي تحكم علاقة وحدات السورة النصيّة المختلفة فيما بينها.

القسم الثالث: منهج البلاغة السامية؛ عيوب التطبيق وآفاق الاستثمار: في هذا القسم من الدراسة نتناول مسألتين؛ **الأولى**: المآخذ النقدية، التي يكشفها التطبيق العملي لمنهج البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم. **الثانية**: فائدة تطبيق المنهج، وآفاق استثمار بعض مخرجاته في الدرس القرآني المعاصر.

خاتمة البحث: في الختام نلخص أهم نتائج البحث، ونقترح بعض التوصيات التي قد تسهم في تعميق البحث في دراسة بنية القرآن الكريم.

القسم الأول: مدخل تمهيدي حول منهج البلاغة السامية:

سنقف في هذا المدخل التمهيدي على مفهوم منهج البلاغة السامية ونشأته، وأهداف نقلِه من دراسة النصوص الكتابية إلى دراسة نظم القرآن الكريم، ونعرض بإيجاز الأسس المنهجية، والخطوات الإجرائية التي ينبني عليها في النقاط الآتية:

١. مفهوم منهج البلاغة السامية:

المنهج لغةً واصطلاحًا:

يقول ابن فارس عن دلالة المنهج في اللغة: «نهج: النون والهاء والجيم، أصلان متباينان؛ الأول: النهج: الطريق، ونهج الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضًا، والجمع: المناهج. والآخر (الثاني): الانقطاع، وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورًا منقطع النَّفَس»[(١)].

والمنهج في الاصطلاح، هو: «جملة القواعد المصوغة من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها في فرع من فروع المعرفة»[(٢)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل ١٩١١) ج٥، ص٣٦١.

(٢) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٧) ص٣-٤.

البلاغة لغة:

البلاغة لغة: من قولهم: (بلغت الغاية) إذا انتهيت إليها، ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته؛ فسمّيت البلاغة لأنها تُنْهِي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البلاغة بلاغة لأنك تبلغ بها إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضًا(١).

البلاغة الساميّة:

البلاغة السامية مركّب إضافي مثل البلاغة العربية، يقصد به: أساليب التركيب المستخدمة في اللغات الساميّة(٢).

واللغات الساميّة، هي: «لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا؛ من حدود الأرمن شمالًا إلى البحر العربي جنوبًا، ومن خليج العجم شرقًا إلى

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الفكر العربي)، ص٢٠١.

(٢) أول مَن أطلق على لغات الجنس السامي اسم (اللغات السامية) هو المستشرق الألماني شلوتزر (Schloezer) في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة ١٧٨١ ب.م؛ لأن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت أو تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح، ينظر: المعجم الحديث عبري/ عربي للمترجم وللطالب الجامعي، ربحي كمال، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٢)، ص٥.

البحر الأحمر غربًا، وهي منسوبة إلى سام بن نوح عليهما السلام باعتبار أن المتكلمين بها هم في الجملة من نسله»[١].

واللغات السامية ترجع كلّها إلى أصول ثلاثة، هي: الآرامية، والعبرانية، والعربية، وهي أمهات اللغات السامية المتبقية[٢].

أمّا التعريف الاصطلاحي لمنهج البلاغة السامية[٣] فيمكن استخلاصه من خلال استعراض أهم خصائصه، وهي:

---

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، (القاهرة: مكتبة الإيمان ١٩٩٧)، ص٦١.

(٢) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، (القاهرة: مكتبة الإيمان ١٩٩٧)، ص٦٢.

(٣) تعددت المصطلحات التي أطلقت على مفهوم منهج البلاغة السامية؛ فجيمس موليمبيرج (James Muilenburg) مكتشف هذا المنهج يطلق عليه: النقد البلاغي للكتاب المقدّس، ورولان مينيه الذي أسهم في التنظير له وتطبيقه على الكتاب المقدّس يطلق عليه: طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس، وكويبرس رائد تطبيقه على القرآن الكريم يتردّد؛ هل يطلق عليه مصطلح: التحليل البنائي باعتبار كونه يتناول البنية العامة للنصّ ولا يكتفي فقط بتحليل الأجزاء؛ أم يطلق عليه مفهوم التحليل البلاغي؟ وقد اختار هذا الأخير.

وقد أطلَقْنا عليه منهج البلاغة الساميّة؛ لأن الإضافة التي يقدمها هي بالأساس إضافة منهجية من جهة، ولأن مفهوم التحليل البلاغي في الدراسات الإسلامية يندرج تحته التحليل التركيبي ودراسة البنيات الأسلوبية والصور البلاغية، ولا يقتصر فقط على تحليل البناء العام للنصّ، كما الحال في هذا المنهج.

أولًا: يتجاوز منهج البلاغة السامية مستوى دراسة الجملة، إلى دراسة البنية التركيبية العامة التي يتشكّل منها النصّ، فهو بمثابة القواعد النحوية لنظم النصوص، فإذا كان عِلْم الصرف والإعراب يحكمان بناء الجملة، فإنّ قواعد البلاغة السامية التي يقوم عليها هذا المنهج تدرس البنية التركيبية للنصوص الساميّة التي كانت متداولة في الشرق الأوسط القديم[١].

ثانيًا: يُعْنَى هذا المنهج بدراسة الأساليب التركيبية أو (صور النظم)؛ كالمقابلة والتوازي وغيرها[٢].

ثالثًا: يختلف منهج البلاغة الساميّة عن البلاغة اليونانية من جهتين؛ **الأولى**: أنه لا ينشغل بدراسة وسائل تحسين الكلام: كالاستعارة، والتشبيه، والمجاز وغيرها، بل يدرس البنية التركيبية للنصّ. و**الثانية**: أن دراسته للأساليب التركيبية لا تسير على الأسلوب الخطي المستقيم (مقدمة، وعرض، وخاتمة) كما هو منطق البلاغة اليونانية[٣]، بل تقوم على مبدأ التناظر.

---

(١) في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٦)، ص٤١١.

(٢) في نظم القرآن، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، ميشيل كويبرس، (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨) ص٥، وص١٨.

(٣) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص٢١.

ولكن السؤال الذي يجدر أن يطرح ههنا، هو: هل يعدّ منهج البلاغة السامية منهجًا مستقلًّا ومكتفيًا بذاته في دراسة النصوص أم لا؟

الواقع أن الطريقة التي يقوم عليها منهج البلاغة السامية، وإن كانت أساسية في إدراك بنية النصوص السامية إلا أنها -كما يقول رولان مينيه (Roland meynet)- لا تمثّل منهجًا في التفسير مكتفيًا بذاته، بل هي: «إحدى مراحل العمل التفسيري، إلى جانب نقد النصوص، والتحقيقات المعجمية، والتحليل الصرفي والنحوي وتاريخ النصّ، وتحديد الفنون الأدبية، وما إليها»[1].

يعني هذا من جهة أولى، أنّ علينا أنْ لا نعقد على منهج البلاغة السامية أملًا أكثر من الإسهام في فهم نظم القرآن الكريم، فهو لم يكن منهجًا مستقلًّا في تفسير النصوص الكتابية فضلًا عن أن يكون كذلك في تفسير القرآن الكريم، ويعني من جهة ثانية أن هذا المنهج رغم أهميته في فهم جوانب من نظم القرآن الكريم، لا يقوى بمفرده على الإحاطة بأساليب القرآن وطرائقه في التركيب كلّها، ولا يمكن الاعتماد عليه بمنأى عن الجوانب اللغوية الأخرى كالدراسة المعجمية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، والمصطلحية، وغيرها.

---

(١) التحليل البلاغي: طريقة جديدة لإدراك معاني الكتاب المقدّس، اليسوعي رولان مينيه، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، ع١، ٢٠٠٣، ص٣. ومسألة حصر البلاغة الساميّة في حدود دراسة النظم فقط قد لا تبدو واضحة في تطبيق كويبرس لهذا المنهج على القرآن الكريم، فهو يتعامل معه في بعض الأحيان كما لو كان منهجًا جديدًا ومستقلًّا في تفسير القرآن الكريم.

٢. نشأة البلاغة السامية:

طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس حديثة النشأة، تعود إلى منتصف القرن العشرين، أمّا جذورها التاريخية، فقد بدأت منتصف القرن الثامن عشر الميلادي مع صدور كتاب روبت لوث (Robert Loth): دروس في شعر العبرانيين المقدّس، حيث عرض لوث في هذا الكتاب تحليلًا شعريًّا للكتاب المقدّس، وبيّن أن الشعر العبري مؤلَّف -في الغالب- من مفصلَيْن متوزايين، وعدد من أنماط التوازي في الكتاب المقدّس[١].

وفي مطلع القرن التاسع عشر اكتشف جون جِب (John Jebb) «التوازي الانطوائي» في الكتاب المقدّس، وهو أن يأتي البيت الأول موازيًا للبيت الأخير، والثاني موازيًا لما قبل الأخير، وهكذا دواليك في ترتيب يتّجه إلى الداخل؛ وقد اعتُبِر (جِب) مؤسسَ التحليل البلاغي للكتاب المقدّس، من خلال جهوده في ترتيب ونشر الدراسات السابقة عليه[٢].

وقد مرّ التحليل البلاغي للكتاب المقدّس بفترة ركود واختفاء شبه كلي، تحت ضغط مناهج النقد التاريخي للكتاب المقدّس، ولم يَعُدْ إليه الاهتمام

---

(١) طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، رولان مينيه وآخرون، ط٢ (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤)، ص٥٦.

(٢) طريقة التحليل البلاغي والتفسير، رولان مينيه وآخرون، ص٦٥-٦٧.

حتى منتصف القرن العشرين عندما بدأت الدراسات حوله تتكاثر، وتجاوز النصوص القصيرة إلى دراسة الكتب الكاملة؛ كالمزامير وغيرها[١].

ويبدو أن طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس قد نشأت لعدة عوامل:

الأول: يتعلّق بالردّ على الاتجاه النقدي التاريخي للكتاب المقدّس وتصحيح تجاوزاته[٢]؛ ذلك أن أصحاب هذا الاتجاه يصرّون على وصف بنية النصوص الكتابية بالغموض، والتناقض، وفقدان الوحدة والانسجام، ويعتقدون أن السبب في ذلك يعود إلى التطوّر التاريخي الذي مرّت به هذه النصوص، وطريقة تحريرها وتجميعها العشوائية التي تركت أثرها في الانقطاع المتكرر والتكرار الذي يوجد في هذه النصوص[٣].

---

(١) طريقة التحليل البلاغي والتفسير، رولان مينيه وآخرون، ص٥٥، وص٨٠.

(٢) انظر: طريقة التحليل البلاغي والتفسير، رولان مينيه وآخرون، ص٢٦. وقد انتقد جيمس مويليمبيرج (James Muilenburg) -الذي يعدُّ مكتشف منهج النقد البلاغي للكتاب المقدّس- روّادَ المناهج التاريخية النقدية للكتاب المقدّس؛ لاهتمامهم بالمبنى والشكل وتجاهلهم للمعنى والجوهر في الكتاب المقدّس، وصرح بأن اللفظ والمعنى لا ينفصلان، بل هما وحدة دلالية ترابطية يدلّ أحدهما على الآخر دلالة قاطعة، وشدّد على أن النقد البلاغي هو البديل الذي يساعد على فهم النصوص المقدّسة، من أصولها اللغوية التي دوّنت بها، عبرية كانت أو إغريقية. ينظر: مناهج الحركات النقدية للكتاب المقدّس في الغرب؛ النقد البلاغي أنموذجًا، هشام مباركي، مؤمنون بلا حدود، على الرابط: www.mominoun.com، ص٦.

(٣) قارن مع التحليل البلاغي: طريقة جديدة لإدراك معاني الكتاب المقدس، اليسوعي رولان مينيه، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، ع١، ٢٠٠٣، ص٤، وص٢٦.

أمّا الثاني: فهو السعي إلى العودة إلى النصوص الكتابية في بيئتها التي نشأت فيها[1]، ذلك أن أصحاب هذه المقاربة قد انطلقوا من فرضية مفادها: أن النصوص السامية تتميز بنظام تركيبي خاصّ يختلف عن النظام التركيبي في النصوص اليونانية، وأنّ ما يظهر في النصوص الكتابية بادئ الأمر من تعارضٍ وعدم اتساقٍ، لا يعود إلى العوامل التاريخية والجمع العشوائي كما يزعم أصحاب الاتجاه النقدي التاريخي (التعاقبي)، إنما يرجع أساسًا إلى دراسة هذه النصوص بمنطق البلاغة اليونانية الغريب على نظم النصوص السامية وطرائقها في التركيب[2].

أمّا **العامل الثالث**: والأهمّ فهو تقدُّم اللسانيات؛ إذ «ترتبط طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس ارتباطًا وثيقًا بالألسنية، بقدر ما تبحث في مادية النصوص لا تحتها، بل على سطحها عن قوانين تنظيمها»[3].

---

(١) راجع طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، رولان مينيه وآخرون، ط٢ (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤)، ص٢٩٨.

(٢) طريقة التحليل البلاغي والتفسير، رولان مينيه وآخرون، ص٢٩٨، وفي نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٦.

(٣) طريقة التحليل البلاغي والتفسير: رولان مينيه وآخرون، ص٢٦.

والواقع أن الارتباط بين منهج البلاغة الساميّة واللسانيات، وبالأخصّ لسانيات النصّ وتحليل الخطاب وثيق جدًّا رغم ادعاء كويبرس أنه لا يتعمد على اللسانيات أساسًا[1]، وإنما على الطريقة المتوارثة في تحليل النصوص الكتابية، ذلك أن منهج البلاغة السامية بدءًا من المفهوم وآلية الدرس المنهجية، وصولًا إلى النتائج إنما يوظف أدوات لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، ولا تعدو العلاقة بين هذا المنهج وبين الدراسات الكتابية -في اعتقادي- أن تكون علاقة نفسية وتاريخية؛ لكونه نشأ أولًا للحاجة العلمية إليه في الدفاع عن هذه النصوص.

هذا ويعدُّ الأب اليسوعي رولان مينيه (Roland meynet) من أبرز المعاصرين الذين قاموا بالتنظير لهذا المنهج وتطبيقه في دراسة النصوص الكتابية، كما أنه قام كذلك وبمشاركة عدد من الباحثين المسلمين بتطبيق هذا المنهج في دراسة نصوص من الكتاب المقدّس والحديث النبوي الشريف في كتاب صدر في تسعينات القرن الماضي بعنوان: «**طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف**»[2].

---

(١) انظر: في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٦)، ص٢٣.

(٢) الكتاب من تأليف أربعة باحثين؛ مسلمان، هما: أهيف سنو ونائلة فاروقي، ومسيحيّان، هما: لويس بوزيه ورولان مينيه، وكان الهدف من تأليفه: تطبيق وسائل التحليل البلاغي المستعملة في دراسة نصوص الكتاب المقدّس على نصوص عربية إسلامية، وقد صدر الكتاب عن دار المشرق في لبنان في تسعينيات القرن الماضي، وقد أشرنا إليه من قبل.

وقد أطلق على طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس أول الأمر مصطلح (البلاغة العبرية)؛ لأنها نشأت من أجل فهم أساليب التأليف التي بنيت عليها نصوص العهد القديم من أصولها اللغوية، وتاليًا مصطلح (البلاغة الكتابية) عندما اكتشف أن نفس الأساليب توجد في العهد الجديد، رغم كتابته باللغة اليونانية، وأخيرًا وبعد أن لاحظ المهتمون بهذه الطريقة أن أساليب التأليف التي تقوم عليها لا تقتصر على النصوص الكتابية بل هي أساليب تركيبية مشتركة، توجد في نصوص الديانات الثلاث الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلامية أطلق عليها اسم: (البلاغة الساميّة)[1].

(١) طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف رولان مينيه وآخرون: ط٢ (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤)، ص٢٩٨.

٣. منهج البلاغة من الدراسات الكتابية إلى الدراسات القرآنية:

يُعَدّ المستشرق البلجيكي ميشيل كويبرس[١]، رائد نقل تطبيق منهج البلاغة الساميّة إلى القرآن الكريم، فقد بدأ نهاية القرن الماضي تطبيق هذا المنهج على عدد من قصار السور المكيّة في القرآن الكريم، ثم انتقل إلى تطبيقه على السور

---

(١) ولد ميشيل كويبرس عام ١٩٤١م، وهو بلجيكي الجنسية، حاصل على درجة الدكتوراه في الآداب الفارسيّة من جامعة طهران، يعيش في مصر منذ عام ١٩٨٩م، ويعمل عضوًا في معهد الآباء الدومينكان للدراسات الشرقية في القاهرة (IDEO)، متخصص في الدراسة الأدبية للقرآن الكريم.

تدور أغلب أعماله حول تطبيق منهج البلاغة الساميّة في دراسة نظم القرآن الكريم، وقد خصّص لهذا الغرض ثلاثة من أهم كتبه، وهي:

1. Le Festin : Une Lecture De La Sourate al-Ma'ida, Paris, Lethielleux 2007.

ترجمه: عمرو عبد العاطي صالح، باسم: في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ونشرته دار المشرق في لبنان عام ٢٠١٦. قدم كويبرس في هذا الكتاب تطبيقًا عمليًّا لمنهجية تحليل بنية القرآن وفق منهج البلاغة الساميّة انطلاقًا من دراسة وتحليل سورة المائدة.

2. La Composition du Coran. Nazm al-Qur'ân, Paris, Gabalda, 2012.

ترجمه: عدنان المقراني وطارق منزو، باسم: في نظم القرآن، ونشرته دار المشرق في لبنان سنة ٢٠١٨.

وقد خصص كويبرس هذا الكتاب لعرض منهجية التحليل البلاغي لنظم القرآن من منظور البلاغة السامية، وقدّم فيه نماذج تطبيقية عديدة من القرآن الكريم، حاول من خلالها أن يثبت أهمية هذا المنهج وأثره في فهم بنية القرآن الكريم.

3. Une apocalypse coranique. Lecture des trente-trois dernières sourates du Coran, Gabalda, Paris, 2014.

جمع كويبرس في هذا الكتاب -مع بعض التعديلات والإضافات- مقالات سبق أن نشرها، في تحليل نظم السور الثلاثين الأخيرة من القرآن الكريم، وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الإنكليزية بعنوان:

A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an translated by Jerry Ryan (U.S.A Lockwood press, 2018).

المدنية الطويلة مطلع هذا القرن، فصدر له كتاب في تطبيق هذا المنهج على سورة المائدة تُرْجِم لاحقًا بعنوان: «**في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي**».

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن منهج البلاغة السامية عند كويبرس، لمّا يتجاوز بعدُ مستوى السورة أو السور القصيرة، أمّا توظيفه في الكشف عن البنية الكلية للقرآن الكريم فلا يزال مطلبًا بعيد المنال.

وقد اعتمد ميشيل كويبرس في نقل منهج البلاغة الساميّة من دراسة النصوص الكتابية إلى دراسة البلاغة التركيبية في القرآن الكريم على القواعد والأسس المنهجية التي وضعها رولان مينيه في دراسة النصوص الكتابية، بل لقد صرح كويبرس بأن مقاربته لنظم القرآن الكريم لا تعدو أن تكون نقلًا أمينًا لطريقة التحليل البلاغي لنصوص الكتاب المقدّس التي بلغت أوجّها في أعمال رولان مينيه[1].

(١) وضع رولان مينيه قواعد منهجه في دراسة بنية النصوص الكتابية في عدد من كتبه، من أهمها: رسالة في البلاغة الكتابية (ينظر: في نظم القرآن، ص٧)، ومع أن كتبه -حسب اطلاعي- غير مترجمة، فإنه يمكن الرجوع إلى الفصل الذي كتبه رولان مينيه نفسه في الكتاب الجماعي: طريقة التحليل البلاغي والتفسير المشار إليه من قبل، حيث شرح فيه أهم القواعد التي تقوم عليها طريقة التحليل البلاغي =

وقد حدد كويبرس لاشتغاله بنقل تطبيق منهج البلاغة السامية من الدراسات الكتابية إلى دراسة نظم القرآن الكريم أهدافًا ثلاثة:

أمّا **الهدف الأول**: فهو السعي إلى فهم رسالة القرآن الكريم من خلال القرآن نفسه، واستنادًا إلى فهم بنيته التركيبية. وأمّا **الهدف الثاني**: فهو تقديم منهج جديد يبدو حقل الدراسات النصيّة للقرآن الكريم في أمسّ الحاجة إليه، ذلك أن من شأنه أن يسهم في حلّ إشكال نظم القرآن الكريم، بعد أن أثبت نجاعته في حلّ إشكال نظم النصوص الكتابية التي تشترك مع القرآن الكريم في الجذر السامي. أمّا **الهدف الثالث**: فإنساني يتعلق بضرورة التعايش الديني والتبادل المعرفي لأدوات فهم النصوص التي تقوم عليها الديانات الثلاث الكبرى: الإسلام والمسيحية واليهودية[1].

=

والتفسير للنصوص الكتابية، مع تطبيقات من الحديث النبوي الشريف، ولا يختلف عرض كويبرس لهذه القواعد عما قدمه رولان مينيه، سوى أن كويبرس يقدّم الأمثلة من القرآن الكريم.

(١) انظر: في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٥-٨. ونظرة جديدة إلى نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: يوسف حبيب نقولا حبيب، على الرابط:

https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers .ص٥

٤. الأسس المنهجية للبلاغة السامية:

تكمن الإضافة الأساسيّة لمقاربة القرآن من منظور البلاغة السامية، التي يضطلع بها ميشيل كويبرس، في كونها تنطلق من سؤال المنهج في مقاربة نظم القرآن الكريم، فإذا كانت بعض الدراسات القديمة والحديثة قد تناولت بنية القرآن وخصائصها، ووسائل الكشف عنها، فإن سؤال المنهج قد ظلّ غائبًا عن جلّها[١].

وتتجلى القيمة المنهجية لمقاربة نظم القرآن من منظور البلاغة السامية عند كويبرس في مسألتين أساسيتين:

الأولى: أنها تحدّد ثلاثة أشكال من النظم لا يخرج النصّ القرآني عنها، وهي: النظم المتوازي، والنظم المحوري، والنظم المعكوس.

(١) من أهم الدراسات الإسلامية التي طرحت سؤال المنهج في دراسة نظم القرآن الكريم: دراسات الإمام عبد الحميد الفراهي.

والواقع أن منهج البلاغة السامية يتقاطع مع نظرية الفراهي في دراسة نظام القرآن الكريم في الخطوط الرئيسة، بل إن في نظرية الفراهي من الثراء والعمق ما لا يوجد في منهج البلاغة السامية، وقد أعددنا دراسة في المقارنة بين منهج البلاغة السامية ومنهج الفراهي في دراسة نظام القرآن الكريم نأمل أن تنشر قريبًا.

وأمّا **الثانية**: فهو أنها تضع معايير وضوابط منهجية للكشف عن هذه الصور النظمية.

ما المقصود بأشكال النظم (أو صور النظم) الثلاثة؟ وما وسائل الكشف عنها؟ وما أهميتها في استجلاء بنية القرآن الكريم؟ ذلك ما نحاول أن نوجز الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولًا: صور النظم في البلاغة السامية:

تنطلق مقاربة بنية القرآن الكريم من منظور البلاغة الساميّة من فرضية أن بنية النصوص الساميّة بما في ذلك القرآن الكريم تقوم على مبدأ التناظر الذي يأتي على أشكال (أو صور نظمية) ثلاثة لا يعدوها، وهي:

الشكل الأول: البنية المتوازية (parallel construction):

المقصود بالبنية المتوازية أو (النظم المتوازي): تكرار العناصر المترابطة بالترتيب نفسه؛ على شكل (أ ب/ أ' ب')، وتأتي علاقة التوازي في النظم على ثلاثة أنواع: التوازي الترادفي، والتوازي التضادّي؛ والتوازي التوليفي أو التكاملي.

وقد تكون العلاقة بين العناصر اللغوية المتوازية: التقابل، أو التضاد، أو الترادف، وقد تكون العناصر الثانية مكملة للأولى، من خلال علاقة شرح، أو بيان نتيجة، أو استثناء، أو شرط، وقد يكون بينهما ارتباط سببي، أو تاريخي، أو غير ذلك من أنواع العلاقة، وكذلك الأمر في العلاقة بين عناصر البنية المعكوسة والبنية المحورية[1].

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص١٨.

الشكل الثاني: البنية المعكوسة أو التركيب المرآتي (composition mirror):

البنية المعكوسة (وتسمى أيضًا: البنية المرآتية) تتكون من أربعة عناصر، أو أكثر، مرتبة في منحدرين متناظرين عكسيًّا على شكل: (أ ب/ ب' أ').

الشكل الثالث: البنية المحورية (ring composition):

البنية المحورية تعني وجود موضوع أو عنصر لغوي في موقع اعتراض بين منحدرَيْ التركيب المرآتي على شكل: (أ ب ج/ ×/ ج' ب' أ'). وقد يكون هذا العنصر مرتبطًا بالبنية النصيّة السابقة أو اللاحقة له[١].

وما يميز البلاغة الساميّة ليس وجود هذه الأشكال النظمية الثلاثة فحسب، وإنما الاستخدام المنهجي المنتظم لها، بحيث توجد في جميع مستويات النصّ المختلفة[٢].

وقد لاحظ ميشيل كويبرس أن البنية المحورية هي الشكل النظمي الأكثر ورودًا في القرآن الكريم، وأنّ البنى المركزية في القرآن الكريم غالبًا ما تكون مفتاح التأويل لمجموع النصّ الذي تحتلّ مركزه. وغالبًا ما ترِد في شكل سؤال أو حكم أو شاهد أو مَثَل يدعو إلى التفكّر والتأمل[٣].

---

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص٢٣.

(٢) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص١٩.

(٣) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، ط١، (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨) ص١٩.

ثانيًا: وسائل الكشف عن صور النظم:

هذه الصور النظمية الثلاث لا تظهر في النصّ إلّا بعد اتخاذ عدد من الخطوات الإجرائية في الكشف عنها من أهمها:

١. التدرج في تجزئة النصّ القرآني:

من أجل الكشف عن نظم السورة أو نظم المقاطع التي تحتوي عليها السورة، يقوم منهج التحليل البلاغي على التدرج في تجزئة النصّ القرآني، وتقسيمه إلى عدد من المستويات النصيّة، تبدأ من الأسفل إلى الأعلى، على مرحلتين:

أ. المرحلة الأولى: تحليل المستويات النصيّة الدنيا، وهي:

- **العنصر أو (المفردة lexeme)**: وهي الوحدة اللغوية الصغرى.

- **المفصل (member)**: هو المستوى الأول في التنظيم البلاغي، وهو قريب من تعريف الجملة في اللغة العربية، وغالبًا ما يوافق المفصل وحدة دلاليّة؛ إمّا جملة فعليّة قصيرة أو جملة اسميّة بدون فعل، وقد نجد مفاصل لا تحتوي إلّا على عنصر واحد بدون فعل.

- **الفرع (segment)**: يتضمن الفرع عادة مفصلًا واحدًا، أو اثنين، أو ثلاثة (ولا يزيد عن ذلك).

- **القسم (Piece)**: كما يتكوّن الفرع من مفصلين أو ثلاثة يحتوي القسم على فرع واحد أو اثنين أو ثلاثة أفرع (ولا يزيد على ذلك مطلقًا).

- **الجزء (Part)**: يتضمّن الجزء قسمًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أقسام (ولا يزيد على ذلك).

تتميز هذه المستويات بأن كلّ مستوى منها لا يحتوي إلّا على عنصر واحد أو عنصرين أو ثلاثة لا أكثر، من المستوى الأدنى منه مباشرةً، فالفرع مثلًا قد يحتوي مفصلين أو ثلاثة ولا يزيد على ذلك، والقسم لا يزيد على ثلاثة فروع وهكذا دواليك، والمستويات النصية الدنيا لا يمكن أن تقرأ مستقلة عما قبلها وما بعدها[1].

ويوضح الرسم أدناه تداخل هذه المستويات:

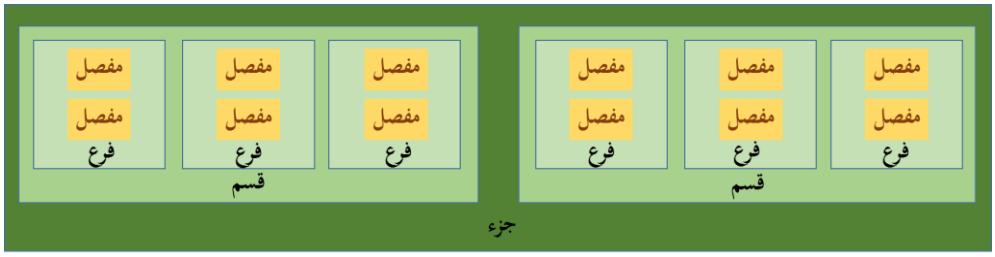

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، ط١، (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨)، ص٣٧-٦٢.

ب. المرحلة الثانية: تحليل المستويات النصيّة العليا:

في هذه المرحلة من تجزئة النصّ وتحليله يصل المفسّر إلى المستويات النصية العليا، وهي:

- **المقطع (passage)**: يتألّف المقطع من جزء واحد أو أكثر.
- **السلسلة (sequence)**: هي المستوى الأعلى من المقطع تتألّف من مقطع واحد أو أكثر.
- **الشعبة (section)**: هي المستوى الأعلى من السلسلة، وتتألّف من سلسلة واحدة أو أكثر.
- **الكتاب (book)**: يتألّف من شعبة أو عدد من الشعب[1].

ويوضح الرسم التالي تداخل المستويات النصية العليا:

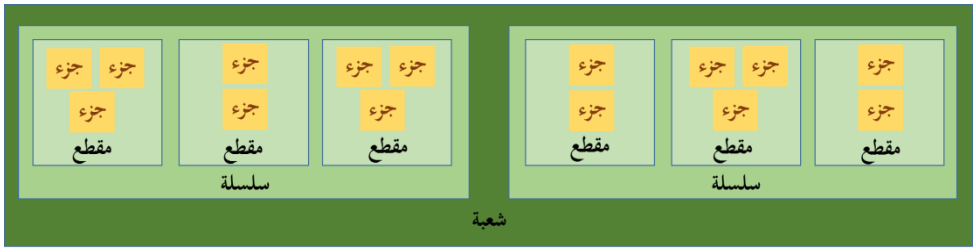

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٦٨-٨٠. والكتاب هو المستوى الأعلى وهو بالنسبة لتطبيق هذا المنهج على القرآن يعني القرآن الكريم كلّه، ولكن ميشيل كويبرس يرى أنه لم يحِن الوقت بعدُ لمعرفة نظام القرآن كلّه، وأن غاية ما توصّل إليه البحث هو السور الطوال من القرآن الكريم.

وما يميز هذه المستويات العليا أنها يمكن أن تقرأ مستقلّة عما قبلها وما بعدها، بخلاف المستويات الدنيا، التي تشكل جزءًا لا يمكن اقتطاعه عما قبله وما بعده، إضافة إلى أنها يمكن أن تتألّف من أكثر من ثلاثة من المستويات التي تأتي قبلها بعكس الفروع والأقسام والأجزاء، التي لا تتألف من أكثر من ثلاثة مستويات مما قبلها[1].

يسهم التدرّج في دراسة هذه المستويات وملاحظة الأشكال النظمية المختلفة التي تحكم بنيتها في إظهار تماسك وإحكام بنية النصّ القرآني.

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٦٣.

٢. الاعتماد على مؤشرات النظم في تقسيم النصّ القرآني وتجزئته:

يقوم منهج البلاغة على أن النصوص السامية، بما فيها القرآن الكريم، تحتوي بداخلها مفاتيح فهمها؛ لما يوجد فيها من مؤشرات التناظر التامّ، أو الجزئي. ولا بدّ للمفسّر من مراعاة هذه المؤشرات والاعتماد عليها أثناء تقسيم النصّ، وترسيم حدوده، وتفسيره.

وتتعدّد مؤشرات النظم في نصوص السورة القرآنية؛ فمنها ما يتعلق بالنواحي الدلالية: كالتطابق، والتضاد على مستوى المفردات، أو الجمل، أو على مستوى مجمل الخطاب، ومنها ما يتعلّق بالناحية الشكلية، مثل: التشابه اللفظي، والتكرار، والسجع، والجناس بنوعيه (التام والناقص)، والتشابه الإملائي وغيرها[1].

وتنقسم دلائل أو مؤشرات النظم (الشكلية والموضوعية) إلى نوعين: مؤشرات تدلّ على التناظر التام، أي: المناسبة التامة بين دلائل النظم الموضوعية والشكلية في مستويات النصّ المختلفة وهي قليلة، أمّا مؤشرات التناظر الجزئي التي تتشابه فيها بعض عناصر البنية المكونة للنصّ فهي الأكثر وورودًا -كما يقول كويبرس-، وتنقسم مؤشرات التناظر الجزئي إلى عدّة أنواع هي بحسب مكان التشابه:

---

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص١٢٥-١٤١.

- **تشابه العناصر البدئية**: عندما يكون التناسب في بداية الوحدات النصيّة المتناظرة.

- **تشابه العناصر النهائية**: عندما تكون المناسبة في خواتيم العناصر المكونة للنصّ.

- **تشابه العناصر المركزية**: عندما يكون التناسب بين العناصر التي تقع وسط البنية النصية.

- **تناسب العناصر الطرفية**: عندما يكون التناسب في أوّل وحدة نصيةٍ ما وفي نهايتها، بحيث يحدّ طرفَيها.

- **العناصر الوصلية**: عندما يكون التناسب في نهاية وحدة وبداية الوحدة اللاحقة لها للربط بينهما[1].

والهدف من رصد دلائل النظم الشكلية والموضوعية في بداية البنى النصية ووسطها ونهايتها، هو الاعتماد عليها في تحديد البنية المناسبة للنصّ القرآني الذي يراد كشف بنيته.

---

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص١٢٥-١٤١.

وكما هو واضح فإن التناظر الجزئي لا يختلف عن بحث المناسبة بين بداية السورة ونهايتها ومحورها وعن المناسبة اللفظية، وهي كلها مسائل تطرقت لها الدراسات القرآنية الإسلامية في مباحث نظم القرآن وعلم المناسبة وغيرهما.

٣. إعادة كتابة النصّ ووصفه:

في هذه الخطوة تتم إعادة كتابة النصّ المراد كشف بنيته، بطريقة تظهر ترتيب مستوياته المختلفة[١]، على سبيل المثال تكتب الآية الأولى من سورة الحجرات بالطريقة الآتية:

=	يَا أَيُّهَا	الَّذِينَ	آمَنُوا
–	لَا تُقَدِّمُوا	بَيْنَ يَدَيِ اللهِ	وَرَسُولِهِ
–	وَاتَّقُوا	اللهَ	
=		إِنَّ اللهَ	سَمِيعٌ عَلِيمٌ

والهدف من هذه الخطوة مزدوج؛ فهي من جهة: تسهم في إظهار أنواع التطابق أو التعارض بين الوحدات الدلالية المتشابهة، ورصد المؤشرات النظمية الشكلية، والموضوعية بينها. وهي من جهة أخرى: تساعد على وصف خصائص النصّ الشكلية بحيث يتلاءم الوصف مع شكل النصّ، فيشرح ما فيه من أنواع التناظر والتوازي[٢].

(١) انظر: طريقة التحليل البلاغي والتفسير؛ تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، رولان مينيه ونائلة فاروقي وآخرون، ط٢ (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤)، ص١٢٤.

(٢) انظر: طريقة التحليل البلاغي والتفسير، رولان مينيه وآخرون، مصدر سابق، ص١٢٧.

نلاحظ في إعادة كتابة الآية السابقة استخدام الرموز: خط فاصل – تساوي = وقد تُستخدَم بالإضافة إليها رموز أخرى، مثل: (+ علامة الزائد، : نقطتان، :: نقطتان مكررتان، ❋ نجمة)؛ وذلك لرصد التشابه بين العناصر اللغوية، في هذه الآية على سبيل المثال استخدم الرمز (–) للتنبيه على التقابل بين النهي والأمر.

وهذه الطريقة وإن كانت تخالف المعهود في كتابة القرآن الكريم إلّا أنها خطوة مرحلية تسهم في اكتشاف بنيته بطريقة أوضح.

٤. استخدام قواعد البلاغة السامية:

بالإضافة إلى استخدام دلائل النظم الموضوعية والشكلية، يعتمد كويبرس في تقسيم النصّ القرآني ومحاولة الكشف عن بنيته على قواعد يقول إنها تعود إلى عالم الكتاب المقدّس نيلس لوند (Nils Wilhelm Lund)، حيث استخدمها في الكشف عن بنية النصوص المقدّسة، وقد اختار كويبرس منها خمس قواعد، يرى أنها الأكثر ملاءمة للنصّ القرآني، وهي:

١. **القاعدة الأولى**: أن وسط البنية النصيّة يكون دائمًا نقطة تحول (turning -point).

٢. **القاعدة الثانية**: أنه في الغالب يتم الانتقال في المركز من موضوع إلى موضوع آخر يقابله، ثم يعود النصّ إلى الموضوع الأول.

٣. **القاعدة الثالثة**: أن بعض المعاني، أو الألفاظ تظهر في أطراف الوحدة النصية، وعند وسطها، ولا تظهر في مكان آخر.

٤. **القاعدة الرابعة**: تسمى (قاعدة الانتقال من المركز إلى الأطراف)، وتعني: ظهور موضوع معيّن في محور بنية نصيّة، وفي أطراف بنية نصيّة أخرى موازية لها؛ لمناسبة بينهما.

٥. **القاعدة الخامسة**: أن بعض الكلمات أو الجمل دائمًا ما تأتي لتغلق الوحدة النصيّة، كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى في القرآن الكريم[1].

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص١٤٨-١٦٠.

ثالثا: التفسير:

تفسير النصّ بعد تحديد بنيته وسياقاته النصيّة هو الهدف النهائي لمنهج التحليل البلاغي للقرآن الكريم كما يقول كويبرس، وما الخطوات المنهجية في الكشف عن نظم القرآن الكريم إلّا وسائل تحاول تقليل التدخّل الشخصي في توجيه المعنى، وتقديم النصّ بحسب ما يفهم من لغته، وتسهم في «الوصول إلى أصح تفسير ممكن للنصّ القرآني»[1].

ولذلك لا يكتفي كويبرس في محاولة فهم نظم القرآن الكريم بالخطوات الإجرائية السابقة، وإنما يعززها بخطوات أخرى، منها:

١. الدراسة المعجمية لألفاظ القرآن الكريم:

يستعين كويبرس في فهم ألفاظ القرآن الكريم وتحصيل معانيه -من جهة اللغة بمستوياتها المختلفة (النحو، والتصريف، والاشتقاق)- بكتب التفسير والمعاجم اللغوية العربية القديمة والحديثة[2].

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٢٠١.

(٢) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص١٧٣.

٢. التفسير بالتناظر النصّي:

ينوِّه كويبرس بأهمية الاستعانة بنظم آيات القرآن في فهم نظم آيات أخرى، أو ما يطلق عليه (التفسير بالتناظر النصّي)، وينتقد المفسرين في عدم وضع قيود لعملية تفسير القرآن بالقرآن[١] التي لا تختلف كثيرًا عن هذا المنحى التفسيري.

٣. التمييز الدلالي بين أطراف البنية النصيّة ومراكزها:

يقول كويبرس إنّ منهج البلاغة السامية الذي يعتمده في تحليل بنية النصّ القرآني يقوم على إعطاء أولوية خاصّة لأطراف البنيات النصيّة ومراكزها، ويعتبر مركز البنية النصيّة المفتاح الأهمّ؛ إذ غالبًا ما تدور عليه معاني النصّ في مجمله، وقد اعتمد كويبرس هذا المبدأ في التمييز بين نوعين من الآيات القرآنية:

النوع الأول: (الآيات الطرفية) وهي الآيات القرآنية التي تأتي في أطراف البنية النصية للسورة، وغالبًا ما ترتبط بالزمان والمكان[٢].

---

(١) الواقع أن كويبرس لا يعتمد التفسير بالتناظر النصي أو تفسير القرآن، أساسًا، وإنما يتجاوزه إلى سياق التناص أو توظيف التراث الكتابي في دراسة نظم، ويتعسّف في ذلك في أحيان كثيرة، وقد بيّنا الخطأ المنهجي المترتب على هذه المسألة في دراستنا المشار إليها من قبل: منهج البلاغة السامية في تحليل بنية القرآن: دراسة وصفية نقدية، ص٩٢.

(٢) في نظم سورة المائدة، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص٤٦٨.

النوع الثاني: (الآيات الإستراتيجية) وهي التي تحتلّ البنى المركزية للوحدات النصية في السورة وتتميز بقلّتها، وبكونها تتسم -على الأقل من ناحية مقاصدها- بالعموم وتجاوز حدود الزمان والمكان[1].

٤. تفسير القرآن من خلال سياق التناص مع الكتاب المقدّس:

يشدد كويبرس على أهمية توظيف سياق العلاقة النصيّة والموضوعية بين القرآن والكتاب المقدّس ذلك أن «القراءة السياقية للنصّ القرآني التي يقوم بها التحليل البلاغي تدعو إلى الامتداد في قراءة تناصية، أي: قراءة النصّ مع الانتباه لما فيه من صدى لنصوص أخرى من التراث المتعلق بالكتاب المقدّس الذي يرتبط به القرآن بشكل أو بآخر»[2].

يحدّد كويبرس لتطبيق منهج البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم غايات أربع؛ **أولها**: ما يوفره من الفهم السياقي التكاملي للقرآن الكريم. و**ثانيها**: تأكيد إحكام نظم القرآن الكريم واتساق بنيته وانسجام مضامينه. و**ثالثها**:

(١) في نظم سورة المائدة، ميشيل كويبرس، ص٤٦٨.

(٢) في نظم سورة المائدة، ميشيل كويبرس، مصدر سابق، ص٤٨١. وقد نبهنا في البحث السابق على الفهم الخاطئ لصلة القرآن بالكتاب المقدّس عند كويبرس، وإشكال توظيفه لسياق تناص القرآن مع الكتاب المقدّس. راجع: منهج البلاغة السامية في تحليل بنية القرآن: دراسة وصفية نقدية، ص٨٤-٩٨.

إمكانية الاستفادة منه في نقد بعض الفرضيات الاستشراقية الخاطئة حول بنية القرآن الكريم. **ورابعها وأخطرها**: التمييز الدلالي بين آيات القرآن الكريم التي تقع في مراكز البنى النصية للسورة، وتلك تقع في أطرافها.

القسم الثاني من الدراسة: تطبيق منهج البلاغة الساميّة على سورة الحجرات:

هذا القسم هو لُبّ الدراسة وأساسها؛ إذ سنقوم من خلاله بتطبيق خطوات منهج البلاغة الساميّة التي تحدثنا عنها في المدخل التمهيدي على سورة الحجرات، نبدأ بتقديم لمحة إجمالية عن السورة، ثم نقف عند كلّ وحدة من الوحدات الدلالية الخمس التي نعتقد أن السورة تنقسم إليها، ونختم بعرض الروابط الشكلية والموضوعية التي تربط بين وحدات السورة كلّها من خلال العناصر الآتية:

١. **لمحة إجمالية عن سورة الحجرات.**

٢. **الوحدة الأولى (الآيات: ١-٥)**: وموضوعها؛ الأدب مع رسول الله ﷺ.

٣. **الوحدة الثانية (الآيات: ٦-١٠)**: وموضوعها؛ التحذير من خُلُق التحمُّس والاندفاع للقتال قبل التأكُّد من مبرراته، والدعوة إلى الصلح بين المتقاتلين.

٤. **الوحدة الثالثة (الآيات: ١١-١٢)**: وهي تؤسّس لمحاسن الأخلاق الاجتماعية الإسلامية، وتهدم مساوئ الأخلاق الاجتماعية الجاهلية.

٥. **الوحدة الرابعة (الآية: ١٣)**: ومقصدها؛ الدعوة إلى التعارف المؤسّس على الأخلاق.

٦. **الوحدة الخامسة (الآيات: ١٤-١٨)**: تكشف حقيقة دعوَى المنافقين من الأعراب الإيمانَ، وتبيّن صفات المؤمن الصادق.

٧. **نظم سورة الحجرات والروابط بين أجزائها**.

بعد الانتهاء من تحليل وحدات السورة المختلفة، نصل إلى المرحلة الأخيرة، وهي: أشكال نظم السورة، والعلاقة بين أجزائها المختلفة.

سنقوم بالتدرج العملي في تحليل المستويات النصيّة المكونة لهذه السورة الكريمة، ونبيّن دلائل النظم التي تجمعها. ابتداءً من المستويات الدنيا، وصولًا إلى المستويات العليا، حسب الخطوات الإجرائية المتبعة في هذا المنهج، بعد اللمحة الإجمالية الآتية:

١ . لمحة إجمالية عن سورة الحجرات:

نزلت سورة الحجرات في السنة التاسعة من الهجرة بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم، في حقبة بدأت فيها وفود العرب تَفِد إلى المدينة لتعلن الدخول في الإسلام، وقد عالجت هذه السورة الكريمة عددًا من القضايا الأخلاقية التي أثارها هذا الوضع، وبعض القضايا الأخرى التي تزامنت معه.

- تبدأ السورة بالنهي عن بعض المسلكيات الخاطئة في علاقة المجتمع الإسلامي بنبيه ﷺ، كاستعجاله في بعض شؤون الحرب والدين، ومعاملته دون استشعار لصفة النبوّة ومكانتها.

- وتعرض للسلوك الأخلاقي في علاقة المجتمع الإسلامي بأعدائه؛ فتنهى عن التحمُّس لقتال قوم أبرياء استنادًا إلى أخبار كاذبة، ثم تنتقل بعد ذلك إلى حالة النزاع والاقتتال الداخلي بين المؤمنين أنفسهم، وتبين سُبل وَأْدِه في مهدِه.

- وتحذّر من مساوئ الأخلاق الاجتماعية الجاهلية الناجمة عن رؤية الفضل على الناس، وتهدم في هذا السياق أساس التفاضل القائم على النسب، وتؤكّد على المساواة بين الناس وتدعو إلى التعارف، انطلاقًا من مبدأ التكريم الإلهي للإنسان، واستحضارًا لقيم التقوى.

- وأخيرًا، تتعرّض السورة لبعض المسلكيات الخاطئة في تبنِّي الإسلام شعارًا ظاهرًا دون تمثُّل حقيقي لتعاليمه وقيمه.

٢. الوحدة الأولى: في الأدب مع النبي ﷺ (الآيات: ١-٥):

النصّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [الحجرات: ١-٥].

النظم[1]:

يحتوي هذا المقطع[2] على جزأين مرتّبين على هيئة النظم المعكوس، يتكون كلّ منهما من قسمين: الجزء الأول (الآيات: ١-٢)، والجزء الثاني الآيات (٣-٥).

---

(١) كان من الأفضل أن نقف عند شرح وتحليل معاني مفردات الآيات قبل دراسة نظمها باعتبار أن فهم المفردات أداة لا غنى عنها في فهم معاني النظم، وإنما تجاوزنا هذه الخطوة اختصارًا؛ لأن معاني مفردات الآيات ميسورة لمن أراد، ولا يضيف هذا المنهج إليها شيئًا جديدًا وإنما يعتمد فيها على ما هو مبثوث في كتب التفسير واللغة. ومن جهة ثانية فإن الإضافة الجوهرية لمنهج البلاغة السامية إنما تتمثل في تحليل نظم القرآن الكريم، وبيان أنماط التماسك والانسجام التي يحتويها، ومن هنا فسوف نشتغل على هذه الناحية أساسًا.

(٢) تجدر الإشارة قبل البدء في تحليل نظم الوحدة الأولى من هذه السورة إلى أننا سنقوم بعرض مراحل العمل في تحليل المستويات النصيّة المكونة لهذه الوحدة كلها، بدءًا من المفصل، والفرع، والقسم، والجزء، وصولًا إلى =

أ. الجزء الأول (الآيتان: ١، ٢):

١. مستوى المفاصل:

تتمثّل أولى مراحل التحليل في تقسيم النصّ إلى مفاصل، وغالبًا ما يوافق المفصل جملة فعلية أو اسمية. على سبيل المثال تتكون جملة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} من مفصل مكون من عناصر ثلاثة.

التيبوغرافيا:

حسب الطريقة المتبعة في هذا المنهج يعرض كلّ مفصل أو كلّ جملة في سطر. وعندما تحتوي الآية الواحدة على أكثر من مفصل واحد يسبق كلّ مفصل حرف [أ] أو [ب] أو [ج] وتُكتَب أرقام الآيات في بداية السطر. على سبيل المثال: تكتب الآيات الأولى من هذه السورة على هيئة مفاصل بالطريقة الآتية:

(١) [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ

[ج] وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

=

المقطع كاملًا، أمّا الوحدات النصية الأخرى للسورة فلن نعرض فيها مراحل العمل التحليلي بالتفصيل، وإنما نكتفي بعرض ما يقتضيه السياق منها.

(٢) [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[ب] لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

[ج] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

[د] أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

تسهم إعادة كتابة النصّ على هيئة مفاصل في الوصول إلى المستوى الأول من التحليل البلاغي، وهو مستوى المفاصل، وفي رصد وتحديد مؤشرات النظم التي تتمثل في علاقات التطابق والتضاد والترادف وغيرها من العلاقات. على سبيل المثال، نلاحظ هنا تكرار جملة النداء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، كما نلاحظ التقابل بين النهي: {لَا تُقَدِّمُوا}، والأمر: {وَاتَّقُوا اللهَ}، إضافة إلى اتحاد البنية النحوية في: {لَا تُقَدِّمُوا/ لَا تَرْفَعُوا/ وَلَا تَجْهَرُوا}، والترادف بين بعض المفردات: {النَّبِيِّ/ رَسُولِ اللهِ}، واتحاد ضمير الإشارة في: {يُنَادُونَكَ/ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ}.

(٢) [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ *وَرَسُولِهِ*

[ج] وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(٢) [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[ب] لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ *النَّبِيِّ*

[ج] وَلَا تَجْهَرُوا *لَهُ* بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

[د] أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

٢. مستوى الفروع:

التيبوغرافيا:

يتضمن الفرع عادة مفصلًا واحدًا، أو اثنين، أو ثلاثة. ويكتب كلّ مفصل على سطر مسبوق بعلامة تيبوغرافيّة، مثل –/ +/ =/ ::/ * ويقتصر دور هذه العلامات على الإشارة إلى المناسبات بين المفاصل. وترصّ بدايات المفاصل رأسيًّا، وحتى نميز الفرع عن بقيّة النصّ يجب جعل البياض سابقًا ولاحقًا له[1].

ويهدف استخدام وسائل الطباعة في مختلف مستويات النصّ إلى جعل الشكل الطباعي يخدم البنية البلاغية للنصّ.

بعد المستوى الأول المتمثّل في كتابة المفاصل، يبدأ المستوى الثاني وهو مستوى الفروع. على سبيل المثال نلاحظ أن الآية الأولى تتشكّل من فروع ثلاثة ثنائية المفاصل؛ الفرع الأول: خطاب موجه إلى المؤمنين. أمّا الثاني:

(١) حول طريقة كتابة مستويات النصّ المختلفة (الفروع والأقسام والأجزاء والمقاطع والسلاسل) انظر: في نظم القرآن، ص١٧٧-١٩٢.

فجملة النهي الموجهة إليهم. والفرع الثالث: الأمر بتقوى الله المؤسّس على الإيمان. والعلاقة بين الفرع الأول والثالث علاقة السبب بالنتيجة؛ حيث إن الإيمان يقتضي التقوى، وعلى هذا فالآية مرتبة على شكل: (أ ب ب').

(١) – [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

\+ [ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ

\+ [ج] وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

ويمكن إذا نظرنا إلى التقابل بين النهي الوارد في قوله: {لَا تُقَدِّمُوا}، والأمر الوارد في قوله: {وَاتَّقُوا اللهَ}، وتكرار لفظ الجلالة =أن نعتبر أنّ هناك فرعَين يترتّبان كالآتي:

(١) – [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

\+ [ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ

\+ [ج] وَاتَّقُوا اللهَ

– [د] إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هذه البنية تجعل الآية ذات فرعَين ثنائيّي المفاصل، يتقابل مفصلاهما الطرفيّان (أ/ د)، ويؤكّد الفرع الثاني على النهي الوارد في الفرع الأوّل، وتقوم

العلاقة بين هذين الفرعين على مبدأ الثُنائيّة، الذي يمثل بالإضافة إلى خاصية التجاور الخاصيتين الأهم للبلاغة السامية.

٣. مستوى الأقسام:

تشكّل الآية الأولى قسمًا مكونًا من فروع ثلاثة.

التيبوغرافيا:

وللإشارة إلى القسم يسبق خطٌّ علوي المفصل الطرفي الأوّل ويلي خطٌّ سفلي المفصل الطرفي الأخير، بينما يفصل بياضٌ الأفرع المكوّنة للقسم.

(١)	–	[أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
	+	[ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ
	+	[ج] وَاتَّقُوا اللهَ
	–	[د] إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

يتكون **القسم الثاني** من فروع أربعة[1]، مرتّبة على هيئة النظم المحوري؛ يبدأ الفرع الأول المكوّن من مفصل، أو جملة واحدة بصيغة الخطاب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، يقابلها في الطرف الأخير من البنية التحذير من حبوط الأعمال، وفي الوسط فرعان ثنائي وثلاثي المفاصل، يتكرّر فيهما تأكيد النهي عن سوء الأدب مع النبي ﷺ بعبارات متطابقة: {تَرْفَعُوا/ فَوْقَ} {أَصْوَاتَكُمْ/ صَوْتِ النَّبِيِّ} {تَجْهَرُوا/ كَجَهْرِ}. بالإضافة إلى التقابل بين الأسماء والضمائر، التي تشير إلى النبي ﷺ، وتلك التي تشير إلى المؤمنين: {النَّبِيِّ/ لَهُ/ بَعْضِكُمْ/ أَعْمَالُكُمْ/ أَنْتُمْ}. ويرتبط الفرع الأخير بالفرع الأول، من خلال كلمتي: {آمَنُوا} الواردة في الفرع الأول، و{أَعْمَالُكُمْ} الواردة في الفرع الأخير؛ وذلك لأن الإيمان يقتضي الحذر من بطلان العمل.

(١) قد يرِد هنا اعتراض يتعلق بكون قواعد البلاغة السامية -حسبما يؤكد كويبرس، وكما أسلفنا من قبل- لا تقبل أن يتكون القسم من أربعة فروع، ولكن الواقع أن هذه القاعدة غير مطردة من جهةٍ كما رأينا هنا، ومن جهةٍ ثانية فإنّ قواعد البلاغة السامية ينبغي أن تظلّ قواعد إجرائية يقتصر هدفها على محاولة الوصول إلى فهمٍ أفضل لبنية النصّ القرآني الكريم، لا أن نجعل منها قوالب جاهزة نفرضها عليه، وسوف نفصل في هذه النقطة عند الكلام على المآخذ النقديّة على المنهج لاحقًا.

(٢) *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
- لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
- فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
+ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
+ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
*أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

يرِد في هذه الآية النهي عن رفع الصوت وإغلاظ الخطاب للنبي ﷺ ومناداته كما ينادي الناس بعضهم بعضًا دون استحضار لصفة النبوّة.

٤. مستوى الجزء:

بناءً على التحليل النصّي السابق يتضح أن الجزء الأول من المقطع الأول من هذه السورة مكون من قسمين حسب الشكل الآتي:

التيبوغرافيا:

يتمّ تأطير الجزء بخطّين (علوي وسفلي) على غرار القسم. ويفصل خطٌّ متقطع بين الأقسام.

(١) - [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

+ [ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ

- [ج] وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

.....

(٢) = [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

:: [ب] لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

:: [ج] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

= [د] أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

ب. الجزء الثاني: (الآيات: ٣-٥):

يتشكل هذا الجزء من الآيات ٣-٥. الآية الأولى مكونة من فروع ثلاثة: جملة تقريرية (٣أ)، وجملة تعليلية (٣ب)، وجملة ختامية اسمية (٣ج).

أمّا الآيتان (٤) و(٥) فتشكّلان قسمًا مكونًا من فروع ثلاثة: جملة موصولة بتعليل (٤أ)، وجملة شرط وجواب (٥ب، و٥ج).

يأتي **القسم الأول** من الجزء الثاني على هيئة النظم المحوري (أ ب أ'). تبين الجملة الأخيرة (أ') الثواب الأخروي للمتأدِّبين مع النبي ﷺ، ويعلّل المفصل المحوري (ب) ذلك الثواب بالاتصاف بالتقوى؛ يرتبط المفصل الثاني مع الأول من خلال تكرار عبارة: {الَّذِينَ}، وتتكرّر في المفاصل الثلاثة ضمائر الجمع: {أَصْوَاتَهُمْ/ قُلُوبَهُمْ/ لَهُمْ}.

أ	(٣)	=	إِنَّ **الَّذِينَ**	يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ	عِنْدَ رَسُولِ اللهِ
		+	أُولَئِكَ **الَّذِينَ**	امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ	لِلتَّقْوَى
أ'		=		لَهُمْ مَغْفِرَةٌ	وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

يتكوّن **القسم الثاني** من هذا الجزء من فرعَيْن ثنائيّي المفاصل، وتقوم العلاقة بينه وبين القسم السابق على المقابلة؛ في القسم السابق يرِد مَدْح: {الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ}، وفي هذا القسم ذمُّ الذين ينادونه ﷺ من وراء الحجرات: {أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}. وكما ورَد في نهاية الأول ثواب المتأدِّبين مع رسول الله ﷺ: {مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}، ترِد في نهاية هذا جملة ختامية مشابهة: {وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، كما نلاحظ تشابهًا بين الفرع الأول والثاني من خلال الضمائر: {يُنَادُونَكَ/ وَلَوْ أَنَّهُمْ} {الْحُجُرَاتِ/ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ}.

(٤) – [أ] إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ **مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**
= [ب] أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
– [ج] وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا **حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ** لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
= [د] وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

١. مستوى المقاطع:

التيبوغرافيا:

على مستوى المقطع تُحاط الأجزاء بإطار للإشارة إلى أنّ المقطع يمثّل مستوى أعلى، مستوى التركيبات التي تكوِّن كلًّا مستقلًّا من المنظورَيْن الشكلي والدلالي على حدٍّ سواء؛ ويحاط الجزء المركزي بإطار مضعَّف لتمييزه عن الأجزاء المؤطِّرة له.

بناءً على التحليل النصّي السابق يتضح أن المقطع الأول من سورة الحجرات مكوَّن من أقسام أربعة كما في الجدول:

- **نظم المقطع الأول كاملًا:**

أ	(١) – [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا + [ب] لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ +[ج] وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
ب	(٢) = [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا :: [ب] لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ :: [ج] وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ = [د] أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ
ب'	(٣) = [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ :: [ب] أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى = [ج] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
أ'	(٤) * [أ] إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٥) = [ب] وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * [ج] وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ينقسم هذا المقطع إلى جزأين مرتّبين على هيئة النظم المعكوس (أ ب ب" أ")؛ الجزء الأول: (الآيات: ١-٢)، والجزء الثاني (الآيات: ٣-٥).

تتوازى الأقسام الأربعة فيما بينها، تتكرر صيغة النداء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} مرتين في القسم الأول والثاني، وتتشابه البنية النحوية في قوله تعالى: {لَا تُقَدِّمُوا/ لَا تَرْفَعُوا/ لَا تَجْهَرُوا}. ويقابل الأمر بالتقوى الوارد في نهاية القسم الأول: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} التحذير من حبوط الأعمال الوارد في نهاية القسم الثاني، وبالتالي يمكن القول إنّ المحذوف في نهاية القسم الثاني ما دلّ عليه القسم الأول؛ فيكون التقدير: (واتقوا أن تحبط أعمالكم)[1].

أمّا الجزء الثاني (الآيات: ٣-٥) فمكوَّن كذلك من قسمَيْن متقابلَيْن من خلال استخدام عبارات متشابهة؛ إذ يفتتح كلّ قسم بعبارة: {إِنَّ الَّذِينَ} ويرِد في

(١) استفدتُ هذا التقدير من التناظر بين الآية الأولى والثانية، ثم وجدتُ الإمام فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد استنبط نفس التقدير فقال -بعد أن ذكر أن قوله تعالى: {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ}-: فيه وجهان مشهوران؛ أحدهما: لئلّا تحبط. والثاني: كراهة أن تحبط... ويَحتمِل ههنا وجهًا آخر، وهو أن يقال معناه: (واتقوا الله واجتنبوا أن تحبط أعمالكم)، والدليل على هذا أن الإضمار لمّا لم يكن منه بُدّ فما دلّ عليه الكلام الذي هو فيه أولى أن يُضمَر، والأمر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا}[الحجرات: ١]. انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، محمد فخر الدين، ط١، دار الفكر ١٩٨١م، ج٢٨، ص١١٨، وهنا نلاحظ أن منهج البلاغة السامية قد يسهم في توضيح البنية النحوية لبعض الآيات.

الوسط من القسمين تقابُل بين امتداح الذين يغضُّون أصواتهم عند رسول الله، وذمّ الذين ينادونه من وراء الحجرات، كما تتشابه الجمل الختامية لهذين القسمين؛ إذ ترِد في الأول عبارة: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}، وفي نهاية الثاني جملة مشابهة: {وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. وتستعمل المقابلة بين النبي والمؤمنين: {أَصْوَاتَكُمْ/ صَوْتِ النَّبِيِّ/ لَهُ/ أَعْمَالُكُمْ/ بَعْضِكُمْ/ أَنْتُمْ}.

ويؤكّد اتحاد الموضوع والجمل الختامية: {إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ/ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، والمقابلة بين النبي ﷺ والمؤمنين، واتحاد البنية النحوية، والتشابه اللفظي بين عدد من المفردات =قوة ارتباط أجزاء هذا المقطع فيما بينها.

ويمكن أيضًا إذا نحن لاحظنا بعض المعايير اللفظية والموضوعية الأخرى، أن نعتبر هذا المقطع مرتبًا على هيئة النظم المحوري، (أ ب أ') بالشكل التالي:

أ	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ** إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ **لَا تَشْعُرُونَ** (٢)
ب	**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ** عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ **امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)
أ'	**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ** أَكْثَرُهُمْ **لَا يَعْقِلُونَ** (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

يتكون الجزء الأول منه من الآيتين الثانية والثالثة، والأخير من الآيتين الرابعة والخامسة. وتقع الآية الثالثة في القلب من هذه البنية.

يركِّز الجزء الأول من المقطع على النهي عن التقديم بين يدي رسول الله ﷺ، ويقدِّم نماذج من سوء الأدب مع النبي ﷺ، أمّا الجزء المركزي فيركز على الأدب الواجب في حضرة النبي ﷺ، ويمتدح المتأدِّبين معه، ويَعِدُهُم بالثواب الأخروي.

ويعود الجزء الثاني للتأكيد على النهي عن سوء الأدب مع النبي ﷺ، ويعرض مثالًا من خلال ذمّ الذين ينادونه من وراء الحجرات.

تؤكد هذه البنية أن المقصد الأساس لهذا المقطع هو ترسيخ الأدب مع الرسول ﷺ بحسبانه دليلًا على التقوى؛ ومن قواعد البلاغة الساميّة أن محور البنية النصية غالبًا ما يتضمن المغزى الأساس للنصّ الذي يقع في قلبه.

ومع أن هذه القاعدة غير مضطردة كما سيأتي، فقد تعزّز هذه البنية المقترحة هنا صحتها النسبية؛ لأن الملاحظ أنه في الجزء الأول تغلب أدوات النهي عن سوء الأدب في المعاملة مع النبي ﷺ، وفي الجزء الثاني يُقَدَّم مثالٌ واقعي على سوء صنع الذين لا يعقلون الأدب معه ﷺ.

وربما تجدر الإشارة في نهاية تحليل نظم المقطع الأول من هذه السورة الكريمة إلى ملاحظات مهمّة:

الملاحظة الأولى: أنه لا توجد معايير دقيقة في منهج البلاغة الساميّة تضع حدودًا فاصلة بين صور النظم الثلاث: (النظم المحوري، والمتوازي، والمعكوس)؛ فقد رأينا أن نظم هذا المقطع يمكن أن يكون مرتبًا على هيئة النظم المعكوس، ويمكن في الوقت نفسه أن يكون مرتبًا على هيئة النظم المحوري.

الملاحظة الثانية: أن الاعتماد على المؤشرات النصيّة الشكلية وحدها لا يكفي في ترجيح بنية على أخرى، ومسألة التردّد بين مستويات النظم، من أجلِ اختيار البنية التي تتوفر على أكبر قدر ممكن من المؤشرات النصيّة، لا تجدِي هنا؛ لأن المؤشرات النصيّة تدعم الاحتمالين معًا، وتبقى مسألة اختيار أو ترجيح بنية على أخرى على عاتق المفسِّر الذي يقول هذا المنهج إنه جاء ليحرّر النصّ منه ومن اختياراته الذاتية المسبقة!

الملاحظة الثالثة: أن الاستناد إلى المعايير الشكلية النصيّة وحدها (وإن كان يسهم بشكل ملحوظ في تحديد وإبراز أدوات التماسك والارتباط بين أجزاء الآية أو الآيات المتعددة)، إلّا أنه لا يكفي وحده في الكشف عن نظم آي القرآن الكريم، بل لا بدّ من المزاوجة بين المعايير النصيّة والدلالية، في تحديد البنية النظمية من جهة، وفي الاختيار بين أنواع النظم المحتملة لآي القرآن الكريم من جهة أخرى.

الملاحظة الرابعة: أن القيمة الأساسية لمنهج البلاغة السامية تكمن في تركيزه على تحليل العناصر الشكلية التي يتكون منها النصّ، ورصد مفاصله المختلفة، ورسم حدوده، والانتباه لعلاقات التطابق والتعارض التي تربط بين ألفاظه وتراكيبه، كلّ ذلك من أجل اكتشاف مظاهر اتساق النصّ وانسجامه الدلالي، وفهم البنية التي تحكم نظام أجزائه المختلفة.

الملاحظة الخامسة: أن طريقة العمل في التحليل النصّي المتبعة في هذا المنهج تسهم بشكل ملحوظ في (التدبّر البصري للقرآن الكريم)، وتُظْهِر جانبًا من جمال الشكل البنائي للقرآن الكريم، وتؤكد بطريقة علمية ما هو راسخ لدى المسلمين من إحكام نظم القرآن الكريم، وتماسك بنائه على المستويين النصّي والدلالي.

٣. الوحدة الثانية: ذمّ الاندفاع إلى القتال والصلح بين المتقاتلين (الآيات: ٦-١٠):

النص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ٦-١٠].

النظم:

يحتوي هذا المقطع المرتَّب على هيئة النظم المحوري، على ثلاثة أجزاء: (٦؛ ٧-٨؛ ٩-١٠).

أ. الجزء الأول (الآية: ٦):

يتألّف هذا الجزء من فروع ثلاثة: في الفرع الأول نداء موجّه إلى المؤمنين، بامتثال الأمر الوارد في الفرع الثاني، وأمّا الثالث فيبيّن النتيجة المترتبة على عدم امتثال الأمر بالتثبّت.

ترتبط هذه الفروع فيما بينها باستعمال واو الجمع، ويتميز الفرعان (الثاني والثالث) بمفاصلهما المتقابلة: {إِنْ جَاءَكُمْ/ أَنْ تُصِيبُوا/ فَاسِقٌ/ قَوْمًا/ بِنَبَإٍ/ بِجَهَالَةٍ/ فَتَبَيَّنُوا/ فَتُصْبِحُوا}.

(٦) – [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ **آمَنُوا**

= [ب] إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ **فَتَبَيَّنُوا**

= [د] أَنْ **تُصِيبُوا** قَوْمًا بِجَهَالَةٍ **فَتُصْبِحُوا** عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

ب. الجزء الثاني (الآيتان: ٧-٨):

هذا الجزء مرتَّب على شكل النظم المحوري (أ ب أ'). يصل اسم الجلالة بين الفروع الثلاثة: {رَسُولَ اللهِ/ وَلَكِنَّ اللهَ/ فَضْلًا مِنَ اللهِ}؛ ويشترك الفرعان (الأول والثالث) في الحقل الدلالي: {وَاعْلَمُوا/ وَاللهُ عَلِيمٌ}. أمّا الفرع المركزي فيتميز بالتقابل الذي يحكم عناصره: {حَبَّبَ إِلَيْكُمُ/ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ/ الْإِيمَانَ/ الْكُفْرَ}.

النظم:

أ	(٧)	–	[أ] وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ
			+ [ب] لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
ب		=	وَلَكِنَّ اللهَ
		::	حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
		::	وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
		=	أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
أ'	(٨)	–	[أ] فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً
		+	[ب] وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

ينبه الفرع الأول إلى أن وجود النبي ﷺ وتسديده بالوحي، يقتضي منكم أن لا تكذبوا فيما تأتونه به من الأنباء، التي لو أطاعكم فيها لنالتكم المشقّة والعنت في الدّين، بما كنتم مقترفيه من ظلم لقوم أبرياء.

ويذكرهم الفرع المركزي بأن الله هو الذي حبَّب إليهم الإيمان، وكرَّه الكفر إليهم، وبيّن لهم سبيل الرشاد؛ ويتحدّث الفرع الأخير عن أن وجود الرسول ﷺ والدخول في الإسلام يُعَدّان فضلًا من الله ونعمة، فقوله تعالى: {فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً} يعود على وجود الرسول ﷺ وعلى المنّة بالدخول في الإسلام معًا.

- **سياق التفسير بالتناظر النصي:**

مع أن الميزة الأهم للتحليل النصي وفق منهج البلاغة السامية تتجلى في ملاحظة أنواع التطابق والتعارض، وأهميتها الوظيفية في فهم السياق النصي المباشر، فإن هذا المنهج لا يكتفي بدراسة السياق النصّي فحسب، إنما يضيف إليه سياق التناص.

وللتناص وفق هذا المنهج نوعان: سياق التناص الخارجي، والمقصود به: سياق علاقة القرآن الكريم بالتراث الكتابي، وهو قريب من توظيف الإسرائيليات في التفسير عند بعض مفسّري القرآن الكريم، وسياق التناص

الداخلي أو (التفسير بالتناظر النصي)[1] والمقصود به المقارنة بين النص المباشر للآية أو الآيات والنصوص الأخرى المشابهة لها، سواء داخل السورة نفسها أو في غيرها من سور القرآن الكريم، وهو قريب من تفسير القرآن بالقرآن. وتكمن أهمية هذا السياق في كونه يوفر فهمًا أعمق وأشمل من الفهم الذي يؤخذ من نصوص الآيات معزولة عن السياق المشابه لها في مجمل القرآن الكريم.

لقد لاحظنا على سبيل المثال تشابهًا بين السياق النصّي للآيات (٦-٨) من سورة الحجرات وبين الآية (٩٤) من سورة النساء، على النحو الآتي:

(١) انظر: في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ص٢٦. وربما تجدر الإشارة هنا إلى أمرين؛ **الأول**: أنه رغم أهمية التدرج في دراسة سياق النصوص فيما بينها صعودًا من النصوص القرآنية المتشابهة وصولًا إلى النصوص الكتابية التي تتشابه مع القرآن الكريم، فإن ميشيل كويبرس لا يولي سياق التناص داخل القرآن الكريم العناية التي يستحقّ في التطبيق العملي، بل يذهب مباشرة إلى سياق أبعد منه وهو سياق التناص مع الكتب المقدّسة، بل ويقدمه على السياق القرآني نفسه، وهذا خطأ منهجي ظاهر. **أمّا الأمر الثاني**: فهو أننا سنقوم بعكس ما قام به كويبرس فلن نركز في دراسة هذه السورة على سياق التناص مع التراث الكتابي؛ لأنه ليس لنا اطلاع كاف على التراث الكتابي من جهة، ولأن غرضنا الأساس في هذا البحث من جهة ثانية ينحصر في اختبار منهج البلاغة السامية في مسألة تحليل نظم القرآن الكريم فقط.

سورة الحجرات الآيات ٦-٨	سورة النساء الآية: ٩٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

وردَت آية سورة النساء في سياق مشابه لآيات سورة الحجرات؛ فهي تنهى المؤمنين عن التحمّس لقتال الأبرياء ومَن أشكلَ أمرُه ولم تتبيّن حقيقة إسلامه ولا كفره، أو اعتنق الإسلام ظاهرًا، أو استسلم فلم يقاتل[1]، وتُذَكِّر أولئك المتحمسين للقتال ابتغاء عَرَض الدنيا بأنّ الله الذي هداهم للإيمان قادر على أن يهدي هؤلاء الكفار فيصبحوا مؤمنين.

(١) انظر: تفسير الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: دار عالم الكتب ١٤٣٦هـ)، ج٧، ص٣٥١.

وكما هو واضح فإنّ سياق الآيتين متشابه؛ إذ ترِدان معًا في معرض توجيه المؤمنين إلى التثبُّت قبل الإقدام على القتال، وتتشابه العبارات المستخدمة فيهما، على سبيل المثال جملة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ترِد في الآيتين، وكلمة: {فَتَبَيَّنُوا} ترِد فيهما معًا، وفي سورة النساء تذكير للمؤمنين بأنهم كانوا كفارًا فمنَّ الله عليهم بالإيمان: {كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ}، وفي هذه السورة: {وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}، وكذلك يتشابه قوله تعالى في سورة النساء: {فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ} مع قوله هنا: {فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً}.

ج. الجزء الثالث (الآيتان: ٩-١٠):

يبدأ الجزء الثالث المكوَّن من أقسام ثلاثة على هيئة النظم المحوري بأداة الشرط التي تتكرر في الفرع الثالث ويتّحِد جوابها في الفرعين: {فَأَصْلِحُوا} ويختلف في الفرع الثاني: {فَقَاتِلُوا}. تتكرّر في الفروع الثلاثة ألفاظ التثنية {طَائِفَتَانِ/ إِحْدَاهُمَا/ بَيْنَهُمَا}، كما تتكرر جملة: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، وترد في القسم الأخير جملة: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}.

تتقابل في وسط البنية ألفاظ: {اقْتَتَلُوا/ فَقَاتِلُوا/ تَفِيءَ/ فَاءَتْ}. وتتكرر واو الجمع في الأقسام الثلاثة.

أ	(٩) – [أ] وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ **الْمُؤْمِنِينَ** + [ب] اقْتَتَلُوا – [ج] ***فَأَصْلِحُوا*** **بَيْنَهُمَا**
ب	+فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى :: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي :: حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ
	+ فَإِنْ فَاءَتْ **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا + إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
أ'	(١٠) –[أ] إِنَّمَا **الْمُؤْمِنُونَ** إِخْوَةٌ + [ب] ***فَأَصْلِحُوا*** **بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** + [ج] وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

تَصِف هذه الآية -كما هو واضح- سبيل حلّ الخلاف في اقتتال المؤمنين فيما بينهم، يقدم القسم الأول الحلّ عن طريق الصلح، ويبيّن القسم المحوري نصر الطائفة المعتدَى عليها في القتال، أمّا القسم الثالث فيعود مرة أخرى إلى الدعوة إلى الصلح، ويذكر برباط الأخوة والرحم، ويدعو إلى التحلي بالتقوى.

يتّحِد موضوع الجزء الأول والثاني؛ إذ يتحدث الأول عن التحذير من الاندفاع إلى القتال، ويذكِّر الثاني بوسائل حلّ النزاع في حال نشوبه.

- **نظم المقطع كاملًا:**

أ	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا **قَوْمًا** بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)
ب	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ **الْإِيمَانَ** وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ **الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ** وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)
أ'	وَإِنْ **طَائِفَتَانِ** مِنَ **الْمُؤْمِنِينَ** اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا **الْمُؤْمِنُونَ** إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

ينتظم هذا المقطع بأجزائه الثلاثة: (٦؛ ٧-٨؛ ٩-١٠) على شكل النظم المركزي.

يركّز الجزء الأول على التحذير من التحمّس لقتال قوم أبرياء بناءً على أخبار كاذبة، ويؤكّد على التثبُّت من الأقوال قبل العمل بمقتضاها.

أمّا الجزء المركزي الذي يقع في موقع الاعتراض فيذكّر المندفعين إلى الوثوب على قوم أبرياء ليقاتلوهم بوجودِ رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، وما يعنيه ذلك من ضرورة العودة إليه، ويذكّر هؤلاء المتوثبين للقتال بأنهم كانوا على مثل ما عليه هؤلاء الذين يتحمّسون لقتالهم، وأن الله هو الذي حبّب إليهم الإيمان وكرّه إليهم الكفر، وبعث فيهم رسوله فضلًا منه ونعمة.

أمّا جزء المقطع الأخير فيعود إلى موضوع القتال الذي ألمح إليه في الجزء الأول، ويرسم الطريق إلى وَأْدِ الفتنة والاقتتال بين المؤمنين أنفسهم، ويبين أن مواجهة مثل هذه الفتنة تكون عن طريق الدعوة إلى الصلح أولًا، وقتال الفريق المعتدي إذا لم يرضَ بالصلح ثانيًا، ومعاملة الفريق العائد إلى الصلح بالعدل والقسط ثالثًا، كلّ ذلك انطلاقًا من مبدأ الأخوة والرحمة الذي يجب أن تكون عليه علاقة المؤمنين فيما بينهم.

يرتبط الجزء الأول مع الثاني والثالث في الحقل الدلالي للإيمان: {الَّذِينَ آمَنُوا/ الْإِيمَانَ/ الْمُؤْمِنُونَ}. ويرِد في الوسط التذكير بمكانة وجود رسول الله: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ/ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً}. وترد في القسم الأول والثالث كلمتي: {قَوْمًا/ طَائِفَتَانِ}.

٤. الوحدة الثالثة: هدم الأخلاق الاجتماعية الجاهلية والتأسيس لأخلاق الإسلام (الآيتان: ١١، ١٢):

النص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[الحجرات: ١١، ١٢].

النظم:

موازاةً مع المقطع السابق الذي يحذّر من سوء الأخلاق مع الأبرياء، ويأمر بالعدل والقسط في حلّ النزاع الناشئ عن الاقتتال، يبدأ هذا المقطع في هدم بعض الأخلاق الاجتماعية الجاهلية من خلال تحذير المؤمنين من: السخرية، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن ببعضهم، والتجسس، ويضرب مثلًا منفرًا من هذه الأفعال.

ينتظم هذا المقطع في جزأين مرتبين على هيئة النظم المتوازي.

أ. الجزء الأول (الآية: ١١):

ينقسم هذا الجزء إلى قسمين: يتميز القسم الأول منهما بكونه مرتبًا على هيئة التناظر التام، وهو النوع الأقلّ ورودًا في القرآن الكريم؛ إذ الغالب في التناظر أن يكون جزئيًّا: بين عناصر في بداية النصّ، وأخري في نهايته، أو في وسطه.

يبدأ القسم بفرع ثلاثي المفاصل (١١أ) يتناظر مع الفرع الثالث (١١ج) الذي حذف منه النداء المقابل للنداء المذكور في الفرع الأول، وحذف منه كذلك الفعل {يَسْخَرْ} لوروده في الفرع الأول، وذكر منه الجزء الأخير: {نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ}، وهي الجملة التي تقابل جملة: {قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ} المذكورة في نهاية الفرع الأول، كما يتناظر الفرع الثاني (١١ب) مع الفرع الرابع (١١د) تناظرًا عكسيًّا تامًّا باستثناء اختلاف ضمائر التذكير والتأنيث: {عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ/ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ}.

(11)						
أ	[أ]	–	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	لَا يَسْخَرْ		قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ
ب	[ب]	+			عَسَى أَنْ يَكُونُوا	خَيْرًا مِنْهُمْ
أ'	[ج]	–		وَلَا		نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ
ب'	[د]	+			عَسَى أَنْ يَكُنَّ	خَيْرًا مِنْهُنَّ

تؤكد هذه الآية الكريمة النهي عن السخرية، ورؤية بعض الناس الفضل لأنفسهم على مَن سواهم، وهي مسألة سيتعزّز النهي عنها في محور السورة الذي يبيّن أن الناس متساوون في أصل الخلق، وأن معيار التفاضل الوحيد بينهم هو الأخلاق والتقوى.

في القسم الثاني من هذا الجزء ترِد الآية (١١) على هيئة النظم المحوري، تتشابه فيها البنية النحوية والصوتية: {وَلَا تَلْمِزُوا/ وَلَا تَنَابَزُوا}، ويتقابل فيه: {الْفُسُوقُ/ الْإِيمَانِ/ الظَّالِمُونَ}.

أ	(١١) – [أ] وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
ب	+ [ب] بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
ب'	– [ج] وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

تحذر هذه الآية الكريمة من التنابز بالألقاب؛ لأنه يتنافى مع الأدب الذي يقتضيه الإيمان، وتَصِف من يتعاطون هذا الفعل السيّئ بالظلم إذا لم يتوبوا منه.

ب. الجزء الثاني (الآية: ١٢):

تنتظم بنية هذه الآية على شكل النظم المحوري (أ/ ب/ أ")، يقابل النداء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} الذي يرد في الفرع الأول، الأمر بالتقوى الذي يأتي في الفرع الأخير: {وَاتَّقُوا اللهَ}؛ ويقابل الأمر في الفرع الثاني: {اجْتَنِبُوا} النهي في الفرع الثالث: {وَلَا تَجَسَّسُوا/ وَلَا يَغْتَبْ}، وفي وسط البنية يُورَد مثالٌ منفِّر من اقتراف مساوئ الأخلاق. ويُختم الفرع الأخير بالحضّ على التقوى، والدعوة إلى التوبة.

---

(١٢) – [أ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

\+ [ب] اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ

\+ [ج] إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

= [د] وَلَا تَجَسَّسُوا

= [هـ] وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

:: [و] **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**

– [ز] وَاتَّقُوا اللهَ

– [ح] إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ

● نظم المقطع كاملًا:

أ		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
	ب	بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)
أ'		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)

يتكون هذا المقطع من أجزاء ثلاثة مرتّبة على هيئة النظم المحوري.

يبدأ الجزء الأول (أ) والثالث (أ') بتوجيه الخطاب إلى الذين آمنوا، ويتكرّر المنهي عنه بصيغة أدوات النهي: {لَا يَسْخَرْ/ ولَا تَلْمِزُوا/ وَلَا تَجَسَّسُوا}، وبأدوات الأمر: {اجْتَنِبُوا/ وَاتَّقُوا اللهَ}، وتدلّ الإشارة إلى أنواع المخاطَبين في الأجزاء الثلاثة للمقطع: {قَوْم/ نِسَاء} و{أَنْفُسَكُمْ/ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} و{أَحَدُكُمْ/ أَخِيهِ} على متانة التماسك النصّي بين أجزاء هذا المقطع.

ويرِد في المحور تشنيع الاتهام بالفسق بعد الإيمان، وهو ناتج إمّا عن التنابز بالألقاب الوارد في الجزء الأول، أو عن سوء الظنّ الوارد النهي عنه في الجزء الثالث، وهو في نهاية المطاف ظلم: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، والتوبة من الظلم واجبة، والجزء الثالث يفتح بابها: {إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

- **الروابط بين المقاطع الثلاثة الأولى:**

تنتظم هذه المقاطع الثلاثة (الآيات: ١-١٢) في سلسلة فرعية على هيئة البنية المحورية [أ] (١-٥) [ب] (٦-١٠) [أ'] (١١-١٢) على النحو الآتي:

أ	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا** تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ **وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ** إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ **وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (٥)
ب	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ **رَسُولَ اللهِ** لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ **إِخْوَةٌ** فَأَصْلِحُوا بَيْنَ **أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ** لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)
أ'	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا** يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ **وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** (١٢)

تبدو العلاقات الشكلية والموضوعية بين هذه المقاطع الثلاثة وطيدة الصلة، أمّا الروابط الشكلية فتتمثّل في النقاط الآتية:

١. تبدأ المقاطع الثلاثة بصيغة النداء نفسها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، تليها صيغة النهي في المقطعين الأول والثالث، وصيغة الأمر في المقطع الأوسط.

٢. يتكرّر الأمر بالتقوى في المقاطع الثلاثة: {وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ/ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ/ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

٣. تتشابه الصيغ النحوية في الأول والثالث: {لَا تُقَدِّمُوا/ لَا تَرْفَعُوا/ لَا تَجْهَرُوا/ لَا تَنَابَزُوا}.

٤. يتكرّر ورود أسماء الله الحسنى وصفاته في المقاطع الثلاثة: {وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ/ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ/ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

٥. يتكرّر ربط أفعال المؤمن بالأُخوّة في المقطع الثاني والثالث: {إِخْوَةٌ/ أَخَوَيْكُمْ/ أَخِيهِ}.

٦. يُذْكَر في المقطع الأول مثالٌ للذين يؤذون رسول الله بندائه من وراء الحجرات، وفي الثالث مثالٌ منفِّر للذين يتعاطون أعراض الناس.

وأمّا الروابط الموضوعية، فتتمثّل في أن المقطع الأول يتحدّث عن الأدب مع النبي ﷺ، ويقابله المقطع الثالث الذي يعرض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المجتمع المسلم في علاقاته مع بعضه، ويقدّم المقطع الأوسط الأدب الذي يجب أن يتحلى به المجتمع الإسلامي في ظروف النزاع والاقتتال خاصّة،

فالمقاطع الثلاثة كلّها ترسِّخ الأدب الأخلاقي للمجتمع المسلم في علاقته بنبيه ﷺ، وفيما بين أفراده في ظروف النزاع والسلم.

ومن الجدير بالذِّكر هنا أن بحث الصلة والارتباط بين هذه المقاطع لم يكن غائبًا عن بالِ المفسرين القدامى للقرآن الكريم، فقد أشار الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره إلى قوة الصلة بين هذه المقاطع اعتمادًا على صيغة النداء والتوجيه الوارد بعدها، حيث قال: «هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إمّا مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين؛ لأنهم إمّا أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجًا عنها وهو الفاسق، والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إمّا أن يكون حاضرًا عندهم أو غائبًا عنهم، فهذه خمسة أقسام:

أحدها: يتعلق بجانب الله. وثانيها: بجانب الرسول. وثالثها: بجانب الفُسّاق. ورابعها: بالمؤمن الحاضر. وخامسها: بالمؤمن الغائب. فذكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وأرشدهم في كلّ مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة»[1].

(١) مفاتيح الغيب، محمد فخر الدين الرازي، ط١، دار الفكر ١٩٨١م، ج٢٨، ص١١٨، وما يورده الرازي هنا يدحض المبالغة التي يرددها كويبرس في القول أنّ المفسرين القدامى للقرآن الكريم قد اعتمدوا منهجًا خطيًّا في التفسير ولم يُولُوا الدراسة التكاملية لنظم السورة العنايةَ اللازمة، والواقع أن كلّ القواعد التي يقوم عليها منهج البلاغة الساميّة قد تطرّق لها المفسرون وبسطوا القول فيها، =

٥. الوحدة الرابعة: التعارف غاية للخلق (الآية: ١٣):

النص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات: ١٣].

النظم:

تبيّن هذه الآية الكريمة أن التعدّد والاختلاف الذي شاء الله أن يَفْطُر عليه الناس، إنما يجب أن يكون وسيلةً للتعارف والتواصل القائم على الأخلاق والتسابق في العمل الصالح، لا سبيلًا إلى التعالي ورؤية بعض الناس الفضل لأنفسهم على مَن سواهم، والآية الكريمة بهذا الأساس تهدم معيار التفاضل الجاهلي القائم على الانتماء القبَلي، وتؤكّد في هذا السياق على المساواة بين الناس، وأن الأساس الوحيد للتفاضل بينهم هو التقوى والأخلاق.

=

صحيح أنهم لم يجعلوا منها منهجًا منظمًا في تفسير نظم القرآن الكريم، وهذا لا يقتصر على المفسرين المسلمين، بل إن طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدّس نفسها -رغم حداثتها وقلّة ما كُتب حولها إذا ما قورن بما كتب حول نظم القرآن وعلم مناسباته- لم تكن في بدايتها منهجًا منظمًا، وإنما ملاحظات محدودة لعدد من علماء الدراسات الكتابية حول أساليب الكتاب المقدّس، لم تنظم بطريقة منهجية إلّا بعد منتصف القرن الماضي، وبتأثير واضح من الألسنية الحديثة وبالأخصّ لسانيات النصّ وتحليل الخطاب.

وعلى مستوى النظم، تتكون هذه الآية من فروع ثلاثة، يرِد في الفرع الأول النداء، وتتشابه البنية النحوية لكلمتي: {خَلَقْنَاكُمْ/ وَجَعَلْنَاكُمْ}، وتتقابل عبارتي: {مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى/ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ}، وتأتي في الوسط صيغة المفاعلة: {لِتَعَارَفُوا} التي تقع في قلب هذه الآية، التي هي قلب السورة، ويربط الفرع الأخير بين التعارف والكرامة والتقوى، ويؤكّد رقابة الله لميثاق التعارف بين الناس.

---

(١٣) – [أ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ

\+ [ب] إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

= [ج] مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

\+ [د] وَجَعَلْنَاكُمْ

= [ه] شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

:: [و] لِتَعَارَفُوا

---

(١٠) – [ز] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ

\+ [ح] أَتْقَاكُمْ

– [ط] إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

وتمتاز هذه الآية التي تقع في القلب من سورة الحجرات، من السياق الواقع قبلها والآتي بعدها في صيغة الخطاب؛ في السياق السابق لها كان الخطاب موجّهًا إلى المؤمنين حيث تكررت جملة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} خمس مرات، وفي السياق الوارد بعدها يتوجه الخطاب إلى فئة أخرى في المجتمع الإسلامي وهم المنافقون من الأعراب الذين لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم بعدُ، أمّا الخطاب في هذه الآية فهو موجّه إلى الناس كافة.

- **سياق التناص:**

تفسير القرآن بالقرآن من الأسس المنهجية المعتمدة في التراث التفسيري، وقد اهتمت الدراسات اللسانية الحديثة بهذا المنحى تحت مسميات مختلفة، مثل: (التناص) و(دراسة النصوص فيما بينها)، وتتجلى أهمية هذا النوع من التفسير -كما أسلفنا- في المقارنة بين المفردات والجمل والنصوص والسياقات المتشابهة، والدور الذي يمكن أن تسهم به في إثراء المعنى.

وهذه الآية الكريمة السابقة تتقاطع على مستوى المفردات، والتراكيب، مع الآية الأولى من سورة النساء، كما يظهر في الجدول الآتي:

الآية رقم (١) من سورة النساء	الآية رقم (١٣) من سورة الحجرات
يَا أَيُّهَا النَّاسُ	**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**
اتَّقُوا رَبَّكُمُ	
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا	إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً	*وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ*
وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ	**لِتَعَارَفُوا**
وَالْأَرْحَامَ	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)	
	إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

تتكرّر في الآيتين ألفاظ متشابهة: {خَلَقَكُم/ خَلَقْنَاكُمْ} و{مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا/ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}. {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً/ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} و{وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ/ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} و{وَالْأَرْحَامَ/ لِتَعَارَفُوا}. {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا/ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

تذكِّر هاتان الآيتان -الأولى من سورة النساء، والثالثة عشرة من سورة الحجرات اللتان ترِدان في سياق متشابه- الناسَ بالأصل المشترك بينهم، وبسُنّة

التعدّد والاختلاف القدري الذي شاء الله أن يحكم علاقاتهم فيما بينهم، ولمّا كان هذا الاختلاف القدري مدعاة إلى التنازع والتناحر بيّنَت الآيتان أن تدبير هذا التعدّد والاختلاف يكون من خلال التعارف، وصلة الرحم الإنساني المشترك، والأخلاق المبنية على استحضار رقابة الله سبحانه وتعالى.

وأهمية المقارنة بين الآيات والانتباه للعلاقات النصيّة بينها أنها قد تكشف بعض المعاني التي ما كنا لنعرفها من خلال قراءة الآية دون مقارنتها بسياق الآيات المشابهة لها؛ على سبيل المثال تقابل كلمة (التعارف) في هذه السورة كلمة (الأرحام) في سورة النساء، الأمر الذي يؤكد أن التعارف إنما هو وصل للرحم الإنسانية، المشتقة من الرحمة التي هي قيمة من أهم القيم التي ينبغي أن تحكم العلاقة بين البشر كافة في المنظور القرآني.

٦. الوحدة الخامسة: المنافقون من الأعراب ودعوَى الإيمان (الآيات: ١٤-١٨):

النص:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحجرات: ١٤-١٨].

النظم:

ينتظم هذا المقطع في أجزاء ثلاثة على هيئة النظم المحوري: [أ] (١٤-١٥) [ب] (١٦) [أ'] (١٧-١٨).

أ. الجزء الأول (١٤-١٥):

أ	(١٤) – [أ] قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا	قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا
ب	+ [ب] وَلَكِنْ	قُولُوا أَسْلَمْنَا
ب'	– [ج] وَلَمَّا يَدْخُلِ	الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

تقوم بنية **القسم الأول** من هذا الجزء على هيئة النظم المحوري، تتشابه ألفاظ الجمل المكونة له: {قَالَتِ/ قُلْ / قُولُوا} و{آمَنَّا/ لَمْ تُؤْمِنُوا/ أَسْلَمْنَا}.

يتناظر الفرع الأول والثالث، إذ ترد في الأول دعوى الأعراب الإيمان وفي الثالث تأكيد لنفي الإيمان عنهم، أمّا وسط البنية فيصحح اعتقاد الأعراب ويوضح لهم أن تبنِّي الإسلام على مستوى الظاهر ليس هو الإيمان الحقّ الذي تخالط بشاشته القلوب، بل هو إسلام أو استسلام.

أ	(١٤) – وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ	
ب	+	لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
ب'	–	إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يتكون **القسم الثاني** من فرع مرتّب على شكل (أ ب ب') يتحدّث الفرع الأول منه عن طاعة الله ورسوله، ويبين الفرع الثاني ما يترتب عليها من توفية

الأعمال كاملة؛ لأن الله لا يظلم الناس من أعمالهم شيئًا، وهو سبحانه غفور رحيم.

(١٥) = [أ] إِنَّمَا **الْمُؤْمِنُونَ** الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ

\+ [ب] ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ

= [ج] أُولَئِكَ **هُمُ الصَّادِقُونَ**

القسم الثالث، يقع في مقابل القسم الأول؛ فيبين في الفرع الأول والأخير حقيقة الإيمان الصادق، التي ترِد مواصفات المتحلين به في الفرع الأوسط.

يصف الفرع الأول (١٥أ) والثالث (١٥ج) الإيمان الصادق: {الْمُؤْمِنُونَ/ الصَّادِقُونَ}، ويحدّد المحور (١٥ب) صفات المؤمنين الصادقين التي تقابل صفات المنافقين المشار إليها في القسم فإذا كان المنافقون يدّعون بألسنتهم الإيمان: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} ويستحوذ الريب على قلوبهم كما تصفهم الآية السابقة: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}، فإن المؤمنين الصادقين قد صدقت أفعالهم أقوالهم: {وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}، وإذا كان أولئك كاذبين في دعوى الإيمان فإن هؤلاء: {هُمُ الصَّادِقُونَ}.

ب. الجزء الثاني (١٦):

أ	(١٦) - قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ
ب	+ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
ب'	وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

يأتي الجزء الثاني على هيئة فرع مكوّن من ثلاثة عناصر مبنية على طريقة النظم المحوري؛ يستنكر الفرع الأول مخادعة المنافقين في قولهم: {آمَنَّا}، وكأنّ الله غير مطلع على حقيقة دعواهم، وكيف لا يكون مطلعًا عليها وهو -سبحانه- يعلم ما في السماوات والأرض، بل يتجاوز علمه ما في السماوات والأرض ليشمل كل شيء.

تشابه عناصر الآية في عبارات: {أَتُعَلِّمُونَ اللهَ/ وَاللهُ يَعْلَمُ/ وَاللهُ عَلِيمٌ} و{بِدِينِكُمْ/ بِكُلِّ شَيْءٍ}، ويتكرّر اسم الجلالة في عناصر الآية كلها.

ج. الجزء الثالث (١٧-١٨):

(١٧) - [أ]		يَمُنُّونَ	عَلَيْكَ	أَنْ أَسْلَمُوا
+ [ب]	قُلْ	لَا تَمُنُّوا	عَلَيَّ	إِسْلَامَكُمْ
- [ج]	بَلِ اللهُ	يَمُنُّ	عَلَيْكُمْ	أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

في **القسم الأول** من هذا الجزء تتناظر عناصر الفروع الثلاثة تناظرًا تامًّا: {يَمُنُّونَ/ لَا تَمُنُّوا/ اللهُ يَمُنُّ} {عَلَيْكَ/ عَلَيَّ/ عَلَيْكُمْ} و{أَسْلَمُوا/ إِسْلَامَكُمْ/ لِلْإِيمَانِ}.

تتحدّث الآية عن المنافقين من الأعراب الذين يمنُّون على النبي ﷺ بإسلامهم، وبكونهم لم يقاتلوه، وتبيّن لهم الآية أنه ما كان لهم أن يمنُّوا على النبي ﷺ بإسلامهم؛ لأنه في حال تحقّقه وصدقهم فيه -وهم غير صادقين في حقيقة الأمر- فإنّ الفضل فيه يعود إلى الله الذي منَّ عليهم عندما بعث فيهم رسوله بالهدى ودين الحق.

ويقابل التشكيك في صدق إيمان المنافقين: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} التأكيد على صدق إيمان المؤمنين بالله ورسوله حقًّا، الذين ورَد وصفهم في الآية السابقة بأنهم: {هُمُ الصَّادِقُونَ}.

أ	(١٨) - إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ	
ب	+ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	
ب'	وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	

ينتظم **القسم الثاني** من هذا الجزء (الآية ١٨) في فرع ثنائي المفاصل على هيئة النظم المحوري، يرِد في الفرع الأول (١٨أ) التأكيد على علمِ الله المطلق

بمَنْ آمَن وبأولئك الذين لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، وفي الفرع المركزي (١٨ب) شمول علمه لما في السماوات والأرض من غيب، وفي الفرع الأخير (١٨ب') اطلاعه -سبحانه- على أعمال العباد خاصّة.

نظم المقطع كاملًا:

أ		**قَالَتِ** الْأَعْرَابُ آمَنَّا **قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا** وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (١٥)
	ب	**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ** وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ *وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* (١٦)
أ'		يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا **قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ** بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ **إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (١٧) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (١٨)

تتمثل الروابط الشكلية بين أجزاء هذا المقطع في أمور، منها:

- تردد المفردات المشتقة من القول: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا/ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا/ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ/ قُلْ لَا تَمُنُّوا}.

- تردد المفردات التي تعود إلى حقل الإيمان: {آمَنَّا/ تُؤْمِنُوا/ الْإِيمَانُ/ أَسْلَمْنَا/ أَسْلَمُوا/ إِسْلَامَكُمْ}.

- تكرار التعقيب بذكر أسماء الله الحسنى في الأجزاء الثلاثة: {إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ/ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ/ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

- المقابلة بين الصدق الذي يوصف به المؤمنون: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، مع التشكيك في الصدق الذي يوصف به المنافقون: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

- يرتبط المحور مع الجزء الأول والثاني من خلال كلمة: {بِدِينِكُمْ}، التي يقابلها لفظ الإسلام في الجزء الأول والثاني.

- يرتبط المحور مع القسم الأخير في الجمل المتشابهة: {وَاللهُ يَعْلَمُ/ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ/ وتتكرّر فيهما عبارة: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أمّا على مستوى الروابط الدلالية، فإنّ الجزء الأول من المقطع يعرض دعوى المنافقين من الأعراب للإيمان، ويبيّن صفات المؤمن الحقّ، بينما يورد الجزء المحوري استفهامًا إنكاريًّا لحال هؤلاء المنافقين الذين يظنون أن الله غير مطّلع على حقيقة ما يدينون به.

ويعود الجزء الأخير من المقطع إلى ما ذكر في الجزء الأول، فيعرض مظهرًا من مظاهر عدم الصدق في الإيمان، إِذْ لو آمَن هؤلاء المنافقون حقًّا لامتلأت

قلوبهم امتنانًا لله الذي هداهم للإيمان، عوض المنّ باستسلامهم على النبي ﷺ.

وأمّا الروابط النصيّة والموضوعية بين هذا المقطع وما قبله وبينهما معًا، والمقاطع الثلاثة الأولى، فسنرجئ الحديث عنها هنا مخافة التكرار، وستتضح عندما نعرض لنظم السورة كاملة، والروابط الشكلية والموضوعية بين أجزائها المختلفة في النقطة الموالية.

٧. نظم السورة والروابط بين أجزائها كاملة:

بعد الانتهاء من التحليل الجزئي للوحدات النصيّة التي تكوِّن هذه السورة الكريمة نصلُ إلى البنية الكلية للسورة.

فما هي بنية سورة الحجرات كاملة؟ هل هي مرتّبة على هيئة النظم المحوري أو المتوازي أو المعكوس؟

الواقع أنه توجد عدّة احتمالات ممكنة لنظم هذه السورة الكريمة سنقف عند كلّ بنية منها ونبين لماذا هي ممكنة اعتمادًا على المؤشرات النصيّة والموضوعية على النحو التالي:

أ. النظم المحوري للسورة:

من الواضح من الناحية المبدئية أن هذه السورة الكريمة مرتّبة على هيئة النظم المحوري (أ ب أ'). على النحو الوارد في الجدول أدناه.

أ	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ *وَرَسُولِهِ* ***وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*** (١) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا** أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ **فَتَبَيَّنُوا** أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) **وَاعْلَمُوا** أَنَّ فِيكُمْ *رَسُولَ اللهِ* لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

		وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ***وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*** (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا** كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ** بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)
	ب	**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ***إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*** (١٣)
أ'		**قَالَتِ الْأَعْرَابُ** آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا *بِاللهِ وَرَسُولِهِ* ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ *إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* (١٧) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ***وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*** (١٨)

يعتمد القول بأن هذه السورة مرتبة على هيئة النظم المحوري، على التقسيم الدلالي لمقاطع السورة، ذلك أن الخطاب في المقاطع الأولى موجّه إلى المؤمنين، أمّا في قلب السورة ومحورها فيتجه الخطاب إلى الناس كافة، بينما يعود الخطاب في المقطع الأخير إلى فئة خاصة في المجتمع الإسلامي وهم المنافقون من الأعراب، علاوة على كون الآية الثالثة عشرة التي هي محور السورة، تلخص أساس الأخلاق التي تدعو إليها هذه السورة الكريمة.

أمّا الروابط النصيّة التي تؤيد القول بهذه البنية فهي متعدّدة، ومن أبرزها أنه:

١. ترد صيغة الخطاب: {يَا أَيُّهَا} في أجزاء السورة كلّها ما عدا الأخير الذي يرِد فيه الخطاب غير مصدَّر بصيغة النداء بل بحكاية مقولة الأعراب: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا}.

٢. تتشابه الجمل الختامية التي تؤكّد على استحضار رقابة الله في الأقوال والأفعال في أجزاء بنية السورة كلها: {وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} في الجزء الأول، وجملة: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} في وسط بنية السورة، وجملة: {وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} في نهاية السورة.

وتؤكّد هذه الملاحظة مبدأ البلاغة السامية الذي يقول: إن «بعض الكلمات أو الجمل دائمًا ما تأتي لتغلق الوحدة النصية»[١]، كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى في هذه السورة.

٣. في مركز السورة ينتقل الخطاب من صيغة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} إلى صيغة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، ويؤكد تحول الخطاب عند المركز قاعدة البلاغة السامية التي تقول: إن وسط البنية النصية يكون دائمًا نقطة تحول (- turning point)[٢].

وهذه البنية وإن كانت تؤكد الأهمية البالغة لمركز البنية النصية باعتباره مفتاحًا لفهم ما قبله وما بعده[٣]، فإنها في الوقت نفسه تبطل من الأساس النتيجة الخاطئة التي يبني ميشيل كويبرس عليها التمييز الدلالي بين الآيات التي تقع في أطراف البنية النصية، والآيات التي تقع في وسطها[٤]، ذلك أن مركز هذه السورة

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨م)، ص١٦٠.

(٢) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص١٤٧.

(٣) انظر: في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٢١٦.

(٤) يقول كويبرس: «يمكن النظم المحوري لمعظم الأبنية في المستويات النصيّة الكبرى من تمييز فرق المستوى الدلالي بين المراكز حينما تعلن القواعد الأساسية والشاملة، وبين الآيات المتواجدة في الأطراف، والمتعلقة بأوضاع تاريخية محددة تجووزت في وقتنا الحالي». في نظم القرآن، ص٢٢١.

وإن كان الخطاب فيه موجهًا إلى الناس كافة وعابرًا لحدود الزمان والمكان، فإنّ طرفيها كذلك يتحدثان عن الأخلاق العابرة لحدود الزمان والمكان، فلا يمكن أن يقال: (إن خُلق التثبت، والصلح، والقسط، والأخوّة الإيمانية، والرحمة؛ وذم السخرية، والاستهزاء، وسوء الظنّ بالناس، التي ترد في الطرف الأول من السورة؛ وصدق الإيمان ومراقبة الله، الذي يرِد في الطرف الثالث من هذه السورة) هي مسائل محكومة بظروف الزمان والمكان.

ب. النظم المتوازي للسورة:

يمكن القول كذلك: إن سورة الحجرات مرتبة على هيئة النظم المعكوس بالطريقة الآتية:

أ		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)
	ب	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ

		وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (١٠)
	ب'	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ **إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)
	أ'	**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا** وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا **وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا **بِاللهِ وَرَسُولِهِ** ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ **إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (١٧) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (١٨)

يعزّز القول بهذه البنية أن موضوع المقطع الأوّل (أ/ الآيات: ١-٥): العلاقة مع النبي ﷺ، يقابله المقطع الأخير الذي يُذكَر فيه جانب من علاقة الأعراب بالإسلام، وامتنانهم على النبي ﷺ بإسلامهم.

تقوم العلاقة النصيّة بين طرفي هذه البنية على التقابل في الطرف الأول: (أ/ الآيات: ١-٥) يتوجه الخطاب إلى المؤمنين: {لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ}، وفي الطرف الأخير (أ'/ الآيات: ١٤-١٨) يوجّه الخطاب إلى الذين لم يؤمنوا من الأعراب: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا}، ويتكرّر الربط بين الإيمان والعلاقة بالله ورسوله في الطرفين الأول والأخير، ويُشار بعبارات متشابهة إلى الذين يتحلَّون بالأدب مع النبي ﷺ في الطرف الأول: {أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}، والمؤمنين الصادقين في الطرف الأخير: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، ويُختم الجزآن معًا بذكر أسماء الله الحسنى.

أمّا المقطعان الأوسطان (ب/ الآيات: ٦-١٠) و(ب'/ الآيات: ١١-١٣) من هذه البنية فتقوم العلاقة بينهما على التقابل أيضًا، يركز المقطع (ب/ الآيات: ٦-١٠) على التأسيس للأخلاق الاجتماعية الإسلامية في ظروف النزاع والاقتتال الأهليّ، ويبين في هذا الجانب أهمية أخلاق التبيُّن والصلح والأخوّة الإيمانية والتقوى في حلّ النزاعات.

ويركّز المقطع الثاني (ب'/ الآيات: ١١-١٣) على التأسيس للأخلاق الاجتماعية الإسلامية في ظروف السلم من خلال النهي عن جملة من الأخلاق الجاهلية السيئة الناجمة عن التعالي ورؤية الفضل على الناس[١].

ومن ناحية المؤشرات النصيّة فإن تكرار النداء المتبوع بالأوامر والنواهي، والمقابلة بين الأخوّة الإيمانية والأخوة الإنسانية، وربط الأخوّتين معًا بالتقوى والرحمة والتعارف والكرامة الخلقية، كلّها أمور تعزّز قوة التماسك النصّي والانسجام الدلالي بين جزأي البنية الواردين في الوسط.

وبصفة عامة فإن صيغ الأمر والنهي والتقرير المتكررة في هذه السورة الكريمة تؤكد طابعها التوجيهي لسلوك المجتمع الإسلامي: تجاه نبيه ﷺ، وتجاه علاقاته مع أعدائه، وفيما بين أفراده، بل وتجاه الإسلام نفسه، الذي لا يصح أن يتمثل شعارًا ظاهرًا بل إيمانًا خالصًا يصدّقه العمل.

(١) التمييز بين الأخلاق التي يدعو إليها المقطعان إنما هو فقط بالنظر إلى المؤشرات النصيّة، وإلّا فهي أخلاق متداخلة ومطلوبة في كلّ وقت وحين.

البنية المحورية الثانية للسورة:

لا تقتصر الاحتمالات الممكنة لنظم هذه السورة وفق طريقة البلاغة السامية على الاحتمالين السابقين، بل يمكن أن تكون السورة مرتبة على هيئة النظم المحوري لا وفقًا للتقسيم المذكور أولًا، وإنما وفقًا لتقسيم آخر يوضحه الجدول الآتي:

أ	..... الآيات: ١-٥	
	ب ..... الآيات: ٦-١٣	
أ'	..... الآيات: ١٤-١٨	

يؤيد القول أنّ هذه السورة مرتبة على هيئة النظم المحوري على الشاكلة الظاهرة في الجدول أعلاه =أمران: موضوعي وتاريخي.

أمّا الأمر الموضوعي أو الدلالي فهو أنّ طرفي البنية الأول: (أ/ الآيات: ١-٥)، والثالث: (أ'/ الآيات: ١٤-١٨) متقابلان يتحدثان عن العلاقة مع النبي ﷺ، وعن العلاقة بالدين نفسه، كما بيّنا قبل.

أمّا الآية ١٣ من السورة التي تم اعتبارها محور السورة في البنية الأولى فإنه يمكن إلحاقها من الناحية الموضوعية بالآيات الواردة قبلها؛ لأن موضوعهما

واحد، وهو التحذير من الأخلاق الجاهلية السيئة الناجمة عن رؤية الفضل على الناس.

وأمّا الأمر التاريخي الذي يعزّز القول بهذه البنية فيتمثل في شأن النزول، ذلك أنّ (الآيات: ١-٥) تتحدّث عن سوء أخلاق الأعراب الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ، وجعلوا ينادونه من وراء الحجرات كما هو معروف في أسباب النزول، لكن الآية لا تصرّح بلفظ الأعراب، وإنما تقول: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، ولا يمكن اعتمادًا على النصّ وحده أن نعرف أن المقصود هم الأعراب المنصوص عليهم باللفظ في نهاية السورة، ولكن السياق التاريخي، أو شأن النزول يصرح بأن المقصود بالآية الواردة في بداية السورة هم أنفسهم الأعراب المشار إليهم في نهاية السورة.

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبب نزول قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}: «حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، قال: كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد، أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب، وهما عند الحجّاج جالسان، يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد: نزلَت في قومك بني تميم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، فذكرتُ ذلك لسعيد بن جبير، فقال: أمَا إنه لو

علم بآخر الآية أجابه: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} قالوا: أسلمنا، ولم يقاتلك بنو أسد[1].

فهذا الأثر يصرّح أن الأعراب المشار إليهم في بداية السورة هم أنفسهم المصرح بهم في نهايتها[2].

وعلاوة على كون هذا الأثر قد يعزّز القول بأن هذه السورة الكريمة مرتبة على هيئة النظم المحوري المقترح هنا -لأن طرفيها يتعلقان بسلوك الأعراب تجاه النبي ﷺ، وتجاه الإسلام، بينما يركز محورها على هدم الأخلاق الاجتماعية الجاهلية، واستبدالها بأخلاق الإسلام- فإنه من جهة ثانية يبين جانبًا

(١) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (الرياض: دار عالم الكتب ١٤٣٦هـ)، ج٢١ ص٣٤٧.

(٢) هذه الأهمية الواضحة لأسباب النزول في الترجيح بين أشكال النظم الثلاثة في البلاغة السامية -كما رأينا في هذه السورة- تبين لنا الخطأ الذي وقع فيه كويبرس عندما ذهب إلى التقليل من أهمية أسباب النزول واعتبرها سياقًا تاريخيًّا بعديًّا اخترعه المفسرون لتعزيز آرائهم التفسيرية. (ينظر: في نظم القرآن، ص٢٠٩).

والأمر الملفت للانتباه هنا أن كويبرس وهو يصرّ على استبعاد أسباب النزول التي هي في مجملها سياق معاصر للقرآن الكريم، نراه في الوقت نفسه يصرّ على توظيف سياق التناص مع التراث الكتابي الذي لا يخلو هو نفسه من الاختلاق البعدي، وكأنه يصر -في بعض الأحيان- على أن النصّ القرآني لا يمكن أن يفهم استنادًا إلى التراث الإسلامي، وإنما استنادًا إلى التراث الكتابي، كما هو مذهب كثير من أصحاب مدرسة الاتجاه التنقيحي في الدراسات القرآنية.

مهمًّا من فهمِ الصحابة والتابعين ﭫ لأهمية بنية وسياق السورة كلها في فهم معانيها، فسعيد بن جبير هنا يعُدّ سورة الحجرات بمثابة آية واحدة لا بد من الرجوع إلى آخرها حتى يفهم أولها.

إنّ هذا التعدد والاختلاف بين أشكال النظم الممكنة لهذه السورة الكريمة يفرض عدة ملاحظات حول صور النظم في منهج البلاغة السامية، والفهم الجديد الذي يمكن أن تضيفه إلى معاني القرآن الكريم.

أولًا: يؤكّد هذا التعددُ والاختلاف من جهةٍ الملاحظةَ التي ذكرناها من قبل، وهي أنه لا توجد حدود نحتكم إليها عند تعدّد الاحتمالات الممكنة لأشكال النظم الثلاثة التي تقوم عليها البلاغة السامية، ومن جهة ثانية يؤكّد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يُحصر في قوالب جاهزة قد تفيد في فهم جوانب من نظمه، إنما لا يمكن أن تستوعب كلّ الفضاءات الرحبة والمعاني السامية التي يحتويها.

ثانيًا: إنّ تعدّد واختلاف أشكال النظم في هذه السورة لا يمكن أن يحلّ عن طريق الاعتماد على المؤشرات النظمية وحدها، ذلك أنها يمكن أن توجد في كلّ المستويات النصية المختلفة للسورة؛ ولذلك لا بد من توظيف مقاصد السورة، وتفسير القرآن بالقرآن، واستحضار شأن النزول، وغير ذلك من أدوات فهم القرآن الكريم في اختيار شكل من أشكال النظم أو آخر.

ثالثًا: إنّ مسألة اختيار أيّ شكل من أشكال النظم الثلاثة لا يضيف معنى جديدًا إلى السورة، ذلك أن معاني هذه السورة سواء قلنا إنها مبنية وفق النظم المحوري أو النظم المعكوس هي نفسها، وقد بيّنا أن القيمة التي يضفيها ميشيل كويبرس على مراكز البنى النصيّة ليتخذها وليجة للقول بتاريخية بعض آيات القرآن الكريم غير مضطردة ولا صحيحة.

وتبقى الإضافة الجوهرية التي تنبني على القول بهذه الأشكال الثلاثة متمثلة في إظهار تماسك النصّ القرآني وتناسق ترتيب أجزائه المختلفة، الأمر الذي يدحض الدعوى التي يدّعيها بعض المستشرقين حول افتقاد النصّ القرآني الوحدةَ والانسجام، ويؤيّد ما هو مقرّر عند علماء المسلمين من حُسن الترتيب والإحكام البنائي في نصّ القرآن الكريم.

القسم الثالث: منهج البلاغة السامية: الثمرة وعيوب التطبيق:

استعرضنا في القسم السابق تطبيق منهج البلاغة السامية، في دراسة نظم سورة الحجرات، أمّا هذا القسم فنخصصه لمسألتين؛ **الأولى**: نعرض فيها ثمرة تطبيق المنهج ومجالات استثماره في الدرس القرآني المعاصر. أمّا **الثانية**: فنخصصها لذكر بعض الملاحظات النقدية التي نعتقد أن من شأن استدراكها أن يسهم في تبيئة هذا المنهج في الدراسات الإسلامية القرآنية المعاصرة لنظم القرآن الكريم.

أولًا: ثمرة المنهج ومجالات استثماره في الدرس القرآني المعاصر:

تتجلى ثمرة تطبيق منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم في جملة أمور من أهمها: ترسيخ وحدة السورة القرآنية، وإثبات إحكام نظم القرآن الكريم، وتصحيح الفرضية الاستشراقية الخاطئة حول افتقاد بنية القرآن الكريم للوحدة والانسجام، وسنعرض لهذه المسائل بشيء من التفصيل في النقاط الآتية:

١. فهم بنية القرآن الكريم:

تكمن القيمة الأساسية لتطبيق منهج البلاغة السامية، في تحليل نظم آي القرآن الكريم في كونه يسهم في ترسيخ وحدة السورة القرآنية، وفي فهم بنية القرآن الكريم العامة، فهما أعمق من الفهم التجزيئي الذي يقوم على النظر إلى

الآيات القرآنية معزولة من سياقها النصّي القريب، وسياق السورة التي تقع فيها، والآيات القرآنية الأخرى التي تتقاطع معها في السياق القرآني العام.

وقد امتاز منهج البلاغة الساميّة من المناهج التي درست وحدة القرآن الكريم في هذا الجانب بميزتين:

الأولى: نظرية الأشكال الثلاثة لنظم القرآن الكريم، التي تثبت أن ترتيب نظم القرآن الكريم لا يسير وفق منهج خطي، وإنما يقوم على أساس التناظر والتجاور، ولا يتأتَّى لمَن يدرك هذه الملاحظة أن يفهم نظم القرآن الكريم حقّ الفهم[1].

الثانية: أن هذا المنهج -بخلاف كثير من المناهج الأخرى التي درست نظم القرآن الكريم- يوظف مبادئ اللسانيات الحديثة توظيفًا ناجحًا في الكشف عن مظاهر اتساق النصّ القرآني وانسجامه، وفهم البنية العامة التي تحكم نظام أجزائه المختلفة.

(١) ذكرنا في دراستنا المشار إليها من قبل أن الإمام عبد الحميد الفراهي قد ذكر أشكال النظم الثلاثة هذه، لكنه لم يجعل منها نظرية في دراسة نظم القرآن إنما أوردها باعتبارها من أساليب القرآن النظمية المتعددة.

٢. إثبات إحكام نظم القرآن الكريم:

يسهم تطبيق هذا المنهج في تأكيد إحكام القرآن الكريم، وتفنيد الفرضية الرائجة في بعض الدراسات الاستشراقية، من وصف القرآن الكريم بالتفكك الأسلوبي وافتقاد الوحدة والانسجام، ومن ثم الدعوة إلى إعادة ترتيب آياته وسوره حتى يصبح -بزعم أصحاب هذه الفرضية الخاطئة- أكثر انتظامًا وأقرب إلى الفهم[١].

ذلك أن هذا المنهج يؤكّد أن القرآن محكم في ترتيبه، وأن النصوص السامية القديمة بصفة عامة -بما فيها القرآن الكريم- بخلاف ما يظهر فيها بادئ الرأي من انقطاع وعدم تماسك، تخفي وراء مظهرها تماسكًا بلاغيًّا ومنطقيًّا، يبدو جليًّا لمن درسها وفق الطريقة البلاغية التي أُلِّفت بها، لا وفق منظور البلاغة

(١) من أبرز المستشرقين الذين عمدوا إلى إعادة ترتيب القرآن الكريم ترتيبًا تاريخيًّا: غوستاف فايل، وتيودور نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، وريتشارد بيل، رغم أن هؤلاء لم يتخلوا تمامًا عن اعتبار السورة وحدة نصية مستقلة، لكن المستشرق هيرشفيلد (Hirschfeld) لم يعتمد السورة وحدة للترتيب، بل اعتمد تقسيم القرآن إلى مقاطع وأجزاء من السور حسب الموضوعات. ينظر: القرآن خطيًّا دراسة في الترتيب الزمني لسور القرآن في كتاب «تاريخ القرآن» إيمانويلا ستيفانيدز (Emmanuelle Stefanidis) ترجمة: حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص٢١، على الرابط: https://tafsir.net/translation/29

اليونانية التي هيمنَت على كثير من البلاغات القديمة وقضَت على فهم طرائقها في تركيب النصوص.

٣. سد بعض جوانب القصور في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم:

قد يسهم اعتماد المؤشرات النصيّة في تجزئة السورة التي يقوم منهج البلاغة السامية -رغم بعض المآخذ عليها، سنذكرها لاحقًا- في سد ثغرة منهجية لازمت منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(١). وهي أن المهتمين به لم يضعوا معايير واضحة لتقسيم موضوعات سور القرآن الكريم(٢)، وقد نشأ عن

(١) حول مفهوم منهج التفسير الموضوعي وإشكالياته ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ دراسة نقدية، سامر رشواني، ط١ (حلب: دار الملتقى ٢٠٠٩).

(٢) لعلّ من أبرز الأمثلة على غياب معايير واضحة في التقسيم الموضوعي لسور القرآن الكريم: تقسيم موضوعات سورة الحجرات في كتاب: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الذي اشترك في إعداده نخبة من الباحثين في القرآن وعلومه، تحت إشراف الدكتور: مصطفى مسلم، وصدرت الطبعة الأولى له عن جامعة الشارقة عام ٢٠١٠م.

فعلى سبيل المثال نجد سورة الحجرات في هذا الكتاب مقسّمة إلى أربع وحدات نصية، هي:

- افتتاحية السورة: (الآيات: ١-٣).
- المقطع الأول: (الآيات: ٤-١٣).
- المقطع الثاني: (الآيات: ١٤-١٧).
- الخاتمة: (الآية: ١٨).

والواقع أن هذا التقسيم لا يقوم على أساس منهجي؛ لعدة أسباب:

=

ذلك اختلاف بينهم في تجزئة السورة القرآنية، وتحديد موضوعاتها، ومن شأن الاعتماد على المعايير النصيّة في تقسيم السورة التي يقدمها هذا المنهج أن

=

الأول: أنه يعدُّ الآيات الثلاث الأولى: افتتاحية، ويفصلها من الآيتين الرابعة والخامسة، مع متانة الارتباط النصي والموضوعي بين هذه الآيات كما بيّنا في تحليلنا للمقطع الأول من سورة الحجرات.

الثاني: أنه يدمج الآيتين الرابعة والخامسة مع سياق مختلف عنهما يمتد حتى الآية ١٣.

الثالث: أنه يقسم (الآيات: ١٤-١٨) إلى مقطع وخاتمة، وقد رأينا من قبل أن هذه الآيات تشكل وحدة متماسكة نصيًّا ودلاليًّا.

والسبب في هذا الخلط بين الوحدات النصية المختلفة للسورة الذي ورد في هذا الكتاب الذي يعدُّ من أحدث التفاسير الموضوعية للقرآن الكريم، يعود إلى أمرين؛ الأول: غياب منهج واضح في التقسيم، فالكتاب يعتمد المعيار الموضوعي في التقسيم، وأحيانًا يعتمد معايير نصيّة، مثل: التناسب، دون ذكر أسس توضح متى يعتمد هذا، ومتى يعتمد ذاك. الثاني: أن كتاب التفسير الموضوعي للقرآن ينطلق من فكرة أن لكلّ سورة مقدمة وموضوع أو موضوعات وخاتمة، وقد يكون هذا هو السبب في التقسيم الذي أقام عليه بناء سورة الحجرات؛ فلِكي يبين أن افتتاحية السورة مرتبطة بما قبلها ترك آيتين ذواتي علاقة بما قبلهما، حتى يستفيد منهما في ربط الافتتاحية بالمقطع الأول، وقام بنفس الأمر في نهاية السورة، فجعل من الآية الأخيرة خاتمة للسورة لتناسب الآية الأولى، وليبين أن للسورة مقدمة وخاتمة.

وفرضية أن للسورة مقدمة وموضوعًا وخاتمة، مسألة تشدّد البلاغة السامية على عدم دقتها في النظر إلى البلاغة التركيبية للقرآن الكريم. ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم، بإشراف الدكتور: مصطفى مسلم، ط١ (الإمارات: جامعة الشارقة ٢٠١٠)، ج٧، ص٣٣٣-٣٨٨.

تجعل التقسيم الموضوعي للسورة أقرب إلى الدقّة وأبعد عن التحيز الشخصي في اختيار تقسيم معيّن لسورةٍ ما من سور القرآن الكريم.

والواقع أن منهج البلاغة السامية كذلك بحاجة إلى استثمار بعض الأسس التي يقوم عليها التفسير الموضوعي في تقسيم النصّ، وفي الترجيح بين أشكال النظم الثلاثة عند تعدد المؤشرات النصيّة، كما أسلفنا.

٤. الترجيح بين الأقوال التفسيرية:

قد يسهم التركيز الدقيق على السياق وإعادة كتابة النصّ القرآني الذي يعدُّ من أسس هذا المنهج في الترجيح بين أقوال المفسرين؛ وذلك لأن من أهم الأسباب التي ينشأ بسببها الخلاف بين المفسرين عدم مراعاة السياق النصي القريب للآيات.

ثانيًا: المآخذ على تطبيق منهج البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم:

لا شك أن منهج البلاغة السامية ينطوي على قدر كبير من الدرس المنهجي لنظم القرآن الكريم، ويكشف جوانب من إحكام نظمه وحسن ترتيبه، لكنه ينطوي من جهة أخرى على أخطاء منهجية، بل لا يخلو أساس من الأسس التي يقوم عليها هذا المنهج من بعض الملاحظات والاستدراكات يتعيّن أخذها في الاعتبار من أجل استنبات هذا المنهج في الدراسات القرآنية استنباتًا حسنًا.

تتعلّق بعض هذه الملاحظات بنظرية الأشكال الثلاثة لنظم القرآن الكريم، وبعضها بطريقة تجزئة النصّ القرآني، وبعضها بالاعتماد على المؤشرات النصيّة في تجزئة النصّ القرآني، وبعضها بالتوظيف المتحيز لسياق تناص القرآن مع التراث الكتابي، وهذه الأركان الأربعة هي التي يقوم عليها هذا المنهج، وسنعرض المآخذ عليها تباعًا على النحو الآتي:

أ. المآخذ على الأشكال الثلاثة للنظم:

١. قصور الاستقراء في نظرية الأشكال الثلاثة:

يقوم منهج البلاغة السامية برمته على فرضية أن النصوص السامية بما في ذلك القرآن الكريم لها ثلاثة أشكال من النظم لا تعدوها، هي: النظم المحوري، والنظم المتوازي، والنظم المعكوس. ولكن السؤال: كيف تُوُصِّلَ إلى حصر أساليب البلاغة السامية في هذه الثلاثة؟ وإذا كانت البلاغة السامية

غير مدونة، والمرجع في استخراج قواعدها إنما هو استقراء النصوص السامية، فكيف تم استقراء هذه النصوص؟ وما هي النصوص المستقرأة؟ وما الآلية المتبعة في استقرائها؟

لا يناقش كويبرس هذه الأسئلة الجوهرية، وإنما يكتفي بالقول إن ما يثبت هذه الصور أو الأساليب الثلاثة هو أنها اكتشفت أولًا من خلال استقراء النصوص الكتابية، وتاليًا من خلال التطبيق على نصوص من الحديث النبوي الشريف، وأخيرًا من خلال القرآن الكريم[1].

والواقع أنّ تطبيق هذه الأساليب في القرآن الكريم لم يكن من خلال استقراء حقيقي لأساليبه النظمية، وإنما من خلال اختبار -لا يخلو من التعسف في بعض الأحيان- لوجود هذه الصور في القرآن الكريم، والدليل على ذلك أمران:

الأول: أن كويبرس يكتفي بالنقل الحرفي لقواعد البلاغة السامية المقترحة من قِبل رولان مينيه في دراسة نصوص العهدين القديم والجديد، دون أن يكلِّف نفسه عناء استقراء هذه القواعد من القرآن الكريم، وهذا قصور واضح إذ لا يسوغ منهجيًّا أن تستقرئ قواعد البلاغة السامية من خلال نصوص معيّنة، وتقوم بتطبيقها على نصّ آخر تفصلها عنه مئات السنوات لمجرد الاشتراك بينهما في العائلة اللغوية.

(١) في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٢٢٣.

الثاني: أن محاولة الفرض التعسفي لهذه القواعد على القرآن الكريم من قِبَل كويبرس تدلّ دلالة صريحة على أنه لا يعتبر القرآن الكريم مجالًا لاستقراء هذه القواعد، فعندما تعترض طريقه بعض الآيات القرآنية التي تخرق اطراد قواعد البلاغة السامية التي توجّه دراسته لنظم القرآن الكريم، يقول -بكل بساطة- إنّ هذه الآية أو الآيات قد تكون إضافة متأخرة(١).

والواقع أنه لو كانت هذه القواعد مستخرجة من استقراء تام لنصوص القرآن الكريم لما خالفت نظم آياته من جهة، ولوجب أن يتم تعديلها عندما تخالف نظم القرآن الكريم من جهة أخرى.

لقد كان الأَوْلى أن يكون القرآن الكريم العمدة والحكم في استقراء واستنباط قواعد البلاغة السامية؛ ذلك أن نصّ القرآن الكريم لا يضاهيه أيٌّ من النصوص السامية التي وصلت إلينا في وثاقة النقل الشفهي والكتابي، وقد دفع هذا الأمر كثيرًا من المستشرقين إلى دراسة لغة القرآن الكريم بهدف فهم

(١) من ذلك على سبيل المثال ما ذهب إليه ميشيل كويبرس عندما اعتبر أن رتشارد بيل قد يكون محقًّا في قوله أنّ الآيات (٣٣-٣٧) من سورة الحاقة إضافة متأخّرة؛ وذلك لأنّ ضمّ هذه الآيات إلى الآيات التي قبلها (٣٠-٣٢) يضعف شدّة التناظر بين القسمَين السابقَين، أي الآيات (١٩-٢٤) والآيات (٢٥-٣٢). ينظر: دليل تدريبي للتحليل البلاغي للقرآن الكريم: مثال سورة الحاقة (٦٩) ميشيل كويبرس، منشور على الرابط:
https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers .ص٣٥

النصوص العبرية والكتابية القديمة؛ لأنها لغة محفوظة بخلاف غيرها من اللغات السامية القديمة التي ضاعت نصوص أكثرها، وكما يقول الإمام الفراهي فإن «لغة العهد العتيق صارت معضلة فغاب أدبها وغاض مشربها، فلا بد أن يفهم كلامها من لغة القرآن»[1].

٢. حصر النظم القرآني في أشكال ثلاثة:

يحصر منهج البلاغة السامية أساليب القرآن النظمية في ثلاثة أشكال: (النظم المتوازي، والمحوري، والمعكوس).

ودعوى حصر صور نظم القرآن الكريم في هذه الأشكال الثلاثة لا تصح؛ لأن هذه الدعوى لا تقوم على استقراء لجميع سور القرآن الكريم من جهة، ولأن علماء ومفسرين آخرين قد أوردوا أنماطًا أخرى من النظم في القرآن الكريم.

فقد توصل محمود البستاني إلى أن بنية السورة القرآنية تنقسم إلى نوعين:

(١) انظر: مقدمة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي، ط١ (الهند: الدائرة الحميدية ٢٠٠)، ص٣٨.

الأول: البنية الموضوعية للسورة:

تقوم بنية السورة من الناحية الموضوعية -حسب البستاني- إمّا على وحدة الفكرة ووحدة الموضوع، أو وحدة الموضوع وتعدد الفكرة، أو تعدد الفكرة وتعدد الموضوع[١].

الثاني: البنية الشكلية للسورة:

تتخذ بنية السورة القرآنية من حيث الأشكال -حسب البستاني- أحد الأنماط الآتية:

١. **البنية الأفقية**: في هذه البنية تبدأ السورة بموضوع وتختم بالموضوع نفسه، وأما الوسط فيتناول سلسلة من الموضوعات المتنوعة ترتبط مع بعضها الآخر، مثل: سورة المزمل[٢].

٢. **البنية الطولية للسورة**: تبدأ السورة بموضوع، وتنتهي بموضوع آخر، حيث تتشابك وتتنامى وتتلاقى خطوط البداية والوسط والنهاية، وفق هيكل

(١) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، ط١ (مشهد: مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة)، ص٩.

(٢) المنهج البنائي في التفسير، محمود البستاني، (بيروت: دار الهادي ٢٠٠١)، ص٣٤.

محكم البناء، حتى لو تعددت موضوعات السورة الرئيسة والفرعية والثانوية والطارئة والمعترضة، مثل: سورة البقرة والمطففين[1].

٣. **البنية المقطعية للسورة**: في هذه البنية تطرح السورة جملة من الموضوعات، ينتهي كلّ واحد منها بآية أو أكثر تتكرّر في المقاطع جميعًا، مثل سورة الرحمن التي تنتهي مقاطعها بقوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[2].

وأمّا العلاقات بين هذه الأشكال التي تتخذها بنية السورة فقد تكون: السببية، بحيث يكون الموضوع الأول سببًا للثاني. أو النمو: ويقصد به الرحلة التي يقطعها النصّ بحسب متطلبات الاستجابة الكلية التي يستهدفها البناء العام للسورة. والتجانس: ويقصد مجانسة كلّ عنصر من عناصر النصّ مع الآخر؛ كعنصر القصة والصورة والإيقاع وغيرها[3].

(١) المنهج البنائي في التفسير، محمود البستاني، (بيروت: دار الهادي ٢٠٠١)، ص٣٤، والتفسير البنائي للقرآن الكريم، ص٩.

(٢) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، ط١ (مشهد: مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة)، ص٩.

(٣) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، ط١ (مشهد: مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة)، ص١٠.

ومحلّ الشاهد هنا أن أشكال النظم في القرآن الكريم لا تنحصر في الأنواع الثلاثة التي يقوم عليها منهج البلاغة السامية.

على أنّ مما يجدر التنبيه عليه هنا، ذلك التشابه الواضح بين دراسة نظم السورة من منظور البلاغة السامية عند كويبرس، ومنهج التفسير البنائي للقرآن الكريم عند محمود البستاني، وقد مرّ كويبرس على دراسات البستاني بصمت!

٣. تداخل أشكال النظم الثلاثة:

المأخذ الثالث أنه لا توجد حدود تفصل بين تداخل أشكال النظم في البلاغة السامية يمكننا الاحتكام إليها عند تعدد الاحتمالات الممكنة للنظم؛ إذ لا يمكن أن يحلّ تعدّد وتداخل أشكال النظم في القرآن الكريم عن طريق الاعتماد على المؤشرات النصيّة وحدها نظرًا لتعددها وكثرتها في السورة الواحدة، وإمكانية الاختلاف بشأنها، ثم إن ترجيح أيّ شكل من هذه الأشكال الثلاثة في بنية السورة لا يضيف إليها معنى جديدًا، كما أوضحنا في نهاية التحليل البلاغي لسورة الحجرات.

ب. الملاحظات المتعلقة بتقسيم النصّ القرآني:

من أهم الأسس التي يقوم عليها منهج البلاغة السامية عند كويبرس العمل على التدرج في تحليل النصّ القرآني وتقسيمه إلى مستويات صغرى وكبرى،

وهذه المسألة وإن كانت لا اعتراض عليها من الناحية الإجرائية فإنها تطرح عدة إشكالات في التطبيق يجب تصحيحها، ومنها:

١. التعسف في تجزئة النصّ القرآني:

يصرّ ميشيل كويبرس على أن مستويات تقسيم النصّ المقترحة من قِبل رولان مينيه، من مسلَّمات البلاغة السامية التي لا يمكن الخروج عليها، فعلى سبيل المثال يقول كويبرس إنّ المستويات النصية الدنيا لا يزيد أيٌّ منها على ثلاثة من المستويات الأدنى منه، فلا يمكن أن يكون الفرع مثلًا مكونًا من أربعة مفاصل، وهكذا حتى نصل إلى الجزء، وهذا محلّ اعتراض؛ لأسباب:

الأول: أن هذه القواعد لا تقوم على استقراء للقرآن الكريم، وإنما على التحكّم المحض، والدليل على أنها لا تستند إلى استقراء للقرآن الكريم أنها غير مضطردة فيه، بل قد توجد بعض الآيات المكونة من فروع رباعية المفاصل كما بيّنا في بداية تحليل سورة الحجرات.

الثاني: أنّ التدرج في تجزئة النصّ وتحليله ينبغي أن يظلّ أداة إجرائية تهدف إلى كشف بنية النصّ القرآني وتعيين حدوده، لا أن نسيّجه بقوالب جاهزة تفرض على النص القرآني قسرًا.

٢. عدم اعتبار الآية وحدة نصيّة مستقلّة:

لا ينطلق كويبرس أثناء تجزئته للنصّ القرآني من اعتبار الآية الوحدة الأساسية الأولى التي يتكون منها النصّ القرآني[١]، بل يحاول تمزيق أوصال الآية القرآنية إلى مفاصل وفروع، يفصل بينها بأرقام وحروف، وهذا الأمر محلّ اعتراض؛ لعدة أسباب:

الأول: أن تقطيع أوصال الآية القرآنية بأرقام وحروف لا يضيف لها أيَّ معنى جديد، من واقع استقراء التقطيع التعسفي لبعض الآيات عند كويبرس.

الثاني: أنه بالإمكان إبراز العناصر النصيّة المهمّة في الآية من خلال الطباعة دون الحاجة إلى تقطيع أوصال الآية بأرقام وحروف تعسفية، قد تصلح لدراسة النصوص المدرسية ولكنها لا تصلح لنصّ فريد كالقرآن الكريم.

---

(١) يقول كويبرس: «ليس ترقيم الآيات إلّا علامة ظنيّة وغير كافية، فما تجمعه بعض القراءات في آية واحدة تفرقه قراءات أخرى في عدة آيات» (في نظم القرآن، ص٣٥)، ويقول إن المفصل الذي يعتبره الوحدة الأولى في التنظيم البلاغي يوافق أرقام الآية غالبًا ولكن ليس في كل الحالات، وأن أفضل ما يحدد المفصل هو انسجامه الخارجي وقدرته على تأليف تناظر مع مفصل آخر في جواره أم لا. (في نظم القرآن، ص٤٠).

يريد منا كويبرس هنا أن نتخلى عن وحدة الآية التي تقوم على أساس شرعي وعلمي متين، ونعتمد مكانها وحدة المفصل التي تستند فقط إلى الانسجام الخارجي الذي يمكن أن يختلف بشأنه، لمجرد كون المفصل من قواعد البلاغة السامية التي جربت في دراسة النصوص الكتابية!

الثالث: أن حدّ الآية -كما ذهب إلى ذلك كثير من العلماء- توقيفي من النبي ﷺ، يقول ابن عاشور: «وتحديد مقادير الآيات مرويّ عن النبي ﷺ وقد تختلف الرواية في بعض الآيات، وهو محمول على التخيير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومبتدأ ما بعدها، فكان أصحاب النبي ﷺ على علمٍ من تحديد الآيات»[1].

الرابع: أنّ اعتبار الآية وحدة نصيّة مستقلة يستند إلى معيار اعتبار الإيقاع والفاصلة الناتجين عن التماثل والتقارب الصوتي بين نهايات الآيات، يقول ابن عاشور: «لا يبعد أن يكون تعيين مقدار الآية تبعًا لانتهاء نزولها، وأمارته وقوع الفاصلة. والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتتكرّر في السورة تكررًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة، تكثر وتقلّ، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع، والعِبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر شبهًا بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جارٍ على أسلوب الأسجاع، والذي استخلصته أيضًا أن تلك الفواصل كلها منتهى آيات، ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه

(١) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، (تونس: دار سحنون ١٩٩٧م)، ج١، ص٧١.

فاصلة لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلّا نادرًا، كقوله تعالى: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} فهذا المقدار عُدّ آية، وهو لم ينته بفاصلة، ومثله نادر، فإنّ فواصل تلك الآيات الواقعة في أول السورة أقيمت على حرف مفتوح بعده ألف مد بعدها حرف، مثل: (شِقاق، مَناص، كذّاب، عُجاب). وفواصل بُنيت على حرف مضموم مشبع بواو، أو على حرف مكسور مشبع بياء ساكنة، وبعد ذلك حرف، مثل: (أنتم عنه معرضون، إذ يستمعون، نذير مبين، من طين). فلو انتهى الغرض الذي سيق له الكلام وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام تكون الآية غير منتهية ولو طالت؛ كقوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ} إلى قوله: {وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ}، فهذه الجمل كلها عُدّت آية واحدة»[1].

نخلص إلى أن اعتبار الآية الوحدة النصية الأُولى في القرآن الكريم فضلًا عن الأساس الشرعي الذي يستند إليه، فهو مستند كذلك إمّا إلى مراعاة الفاصلة، أو إلى تمام الكلام، وهما من معايير تجزئة الخطاب في اللسانيات الحديثة؛ ولذلك فإنّ محاولة استبدال وحدة المفصل التي لا تقوم على أساس علمي واضح بوحدة الآية القرآنية التي تقوم على أساس شرعي وعلمي متين؛ تُعَدّ خاطئة.

(١) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور مُحَمَّد الطاهر، (تونس: دار سحنون ١٩٩٧م) ج١، ص٧٥.

ج. الملاحظات المتعلّقة بتوظيف مؤشرات النصّ:

يستند منهج البلاغة السامية في تجزئة النصّ القرآني على «المؤشرات النظمية الموجودة في النصّ (القرآني) نفسه»[1]؛ لأنها تُعَدّ أمارات لتعيين حدود النصّ، غير أن اعتماد المؤشرات النصيّة في التقسيم قد شابته بعض الأخطاء والعيوب، من أهمها:

قصور المعيار المعتمد في تجزئة النصّ وعدم انضباطه:

يتجلى قصور اعتماد المؤشرات النصيّة وحدها في أن مسألة تجزئة الخطاب (discoursesegments) من المسائل التي اختلف الدارسون المعاصرون لتحليل الخطاب حولها، وحول المعايير التي ينبغي أن تعتمد بشأنها، فمِن الدارسين مَن يرى أن أجزاء الخطاب (discourse segments) وحدات إيقاعية، ويعرف أجزاء الخطاب من خلال سمات إيقاعية من قَبِيل الوقف، أو تغير نمط التواتر الأساسي لدى المتكلم، ومنهم من يرى أن أجزاء الخطاب ترتبط بمقاصد المتكلمين وأغراضهم من الكلام، ومنهم من يرى أن أجزاء الخطاب هي الجمل، ومنهم من يرى أنها المركّبات الإسنادية، ومنهم من يرى

(١) انظر: في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ص٣٥.

أن المعيار الذي يمكن اعتماده في تجزئة الخطاب هو معيار الاستقلالية التصورية؛ لأنه أفضل من معيار الاستقلالية النحوية[1].

وعلى أيّة حال، فإنّ اعتماد المؤشرات النصيّة وحده في تجزئة النصّ القرآني قصور عن دَور الفاصلة القرآنية، ودور مقاصد السور وأغراضها، وغير ذلك من المعايير التي يمكن أن يُستفاد منها في الوصول إلى تقسيمٍ أقرب إلى الدقّة والصواب، وأبعد من التحكم المحض الذي صاحب بعض التقسيمات المقترحة من قِبل كويبرس.

وأمّا أنه غير منضبط فلأن تعدّد المؤشرات النصيّة الذي لا تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم يجعل الاعتماد على مؤشر نصّي وإهمال عدد آخر من المؤشرات مسألة تقوم على الانتقاء والاختيار الشخصي من قِبل المفسِّر.

ولا ننسى أن منهج البلاغة السامية جاء ليبشر بالقضاء على استغلال المفسر للنص وتقويله ما ليس فيه!

(١) ينظر: مبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني من خلال علم المناسبات، شوقي البوعناني، ط١ (المغرب: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع ٢٠١٨)، ص٢٥٣.

د. الملاحظات المتعلقة بتوظيف سياق التناص:

التناص هو «مجموع العلاقات الموجودة بين نصّ أدبي ونصّ أو نصوص أخرى، يقوم القارئ اعتمادًا عليها بمقارباته»[1].

وقد اهتم كويبرس بالتناص بين القرآن والكتاب المقدّس، وعدّه معيارًا لا غنى عنه في فهم بنية القرآن الكريم.

لكن مأخذنا على كويبرس في هذه النقطة أنه يوظف هذا السياق -في بعض الأحيان- توظيفًا متحيزًا عندما يستدعي نصوصًا من التراث الكتابي لا من أجلِ إثراء معنى النصّ القرآني، وإنما من أجل القول أن القرآن الكريم يستبطن بنية نصية تحتية للكتاب المقدس، يقول كويبرس:

«وتعتبر أوجه الشبه بين ألفاظ القرآن وبين نصوص التراث الكتابي مؤشرات لتشابهات أعمق على مستوى التركيب (القصصي أو العقائدي). عندما نلمح هذه المؤشرات ضمن تركيب النص المستهدف (القرآن) يظهر التركيب المشابه للكتاب المقدّس (النص المصدر) بالمؤشرات نفسها»[2].

---

(١) انظر: التناص؛ المفهوم وخصوصية التوظيف في الشعر المعاصر، المختار حسني، ط١ (الجزائر: دار التنوير ٢٠١٣م)، ص١١، نقلًا عن:

Le nouveau petit Robert: dictionnaire (intertextualité) 2. 1200

(٢) في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٦)، ص٤٨٢.

إنّ هذا النوع من البحث عن الأصول اللغوية للقرآن الكريم في التراث الكتابي يجعل كويبرس في هذه النقطة بالذات أقرب إلى أصحاب (الاتجاه التنقيحي في الدراسات القرآنية) الذين يرون أنّ القرآن الكريم مَدِين بلغته للتراث الكتابي، وأنه لا يتأتَّى فهمه من خلال اللغة العربية والتراث التفسيري الذي كتب حوله، وإنما من خلال التراث الكتابي السابق عليه(١)، ولعلّ هذا هو السرّ في تجاوز كويبرس سياق التفسير بالتناظر النصّي داخل السياق القرآني إلى سياق التناص مع التراث الكتابي، وفي محاولته فرض بعض الأسس المنهجية التي تقوم عليها دراسة التراكيب في النصوص الكتابية على القرآن الكريم.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ كويبرس يقتصر على محاولة توظيف التراث الكتابي في فهم القرآن الكريم، ويتجاهل مراجعة القرآن الكريم النقدية لتراث أهل الكتاب في تصديق الصادق منه وتصحيح المحرف.

(١) يقول جبريل سعيد رينولدز -وهو من رموز هذا الاتجاه-: «لا ينبغي قراءة القرآن، على الأقل من منظور نقدي في ضوء ما تلاه من تفسير له؛ وإنما في ضوء ما سبقه من تراث توراتي». ينظر: تفكيك الاستعمار في الدراسات القرآنية، جوزيف لمبارد (Joseph Lumbard) ترجمة: حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص١٦ على الرابط: https://tafsir.net/translation/5

خاتمة الدراسة:

نخلص بعون الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الدراسة التي حاولنا فيها أن نقدّم نموذجًا تطبيقيًّا لمنهج البلاغة السامية، آملنا أن نكتشف من خلاله مدى أهمية تطبيق منهج البلاغة السامية في تحليل نظم آي القرآن الكريم.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولًا: يندرج منهج البلاغة السامية في سياق تطوّر الاهتمام الغربي بمقاربة بنية القرآن الكريم مقاربة تزامنية (Synchronic Approch) تسعى إلى فهم القرآن في نسخته الحالية، بغضّ النظر عن مصدره ومأتاه، وتوظف في سبيل ذلك بعض الأدوات المنهجية التي توفرها اللسانيات الحديثة.

ثانيًا: امتازت مقاربة نظم القرآن من منظور البلاغة السامية عن غيرها من المقاربات التي تناولت بنية النصّ القرآني بميزتين أساسيتين؛ **الأولى**: تطبيق نظرية الأشكال الثلاثة لنظم النصوص السامية في القرآن الكريم. **والثانية**: توظيف مبادئ لسانيات النصّ وتحليل الخطاب في الكشف عن هذه الأشكال الثلاثة.

ثالثًا: يمكن القول من خلال هذه الدراسة أن منهج البلاغة السامية بآلياته المنهجية -رغم جوانب قصوره المتعددة- يسهم إسهامًا واضحًا في الكشف

عن إحكامِ آيِ القرآن الكريم، ويقدِّم إضافة متميزة في الدرس البنائي للقرآن الكريم، لا تفصل بين أجزائه وكليته.

رابعًا: أوضحت هذه الدراسة أن منهج البلاغة السامية -رغم أهميته في فهم جوانب من نظم القرآن الكريم- لا يقوى بمفرده على الإحاطة بأساليب القرآن وطرائقه في التركيب كلّها، ولا يمكن الاعتماد عليه بمنأى عن الجوانب اللغوية الأخرى كالدراسة المعجمية والمصطلحية والنحوية والبلاغية وغيرها.

خامسًا: أبانت هذه الدراسة أن لمنهج البلاغة السامية آثارًا إيجابية، من أهمها: تفنيد مزاعم المستشرقين حول تفكّك النصّ القرآني، وترسيخ مبدأ وحدة السورة، والقراءة السياقية للقرآن الكريم.

أمّا الآثار السلبية فمنها: التوظيف المتحيّز لعلاقة القرآن بالتراث الكتابي، ومنها: فرضية التمييز الدلالي بين الآيات القرآنية التي تقع في أطراف السورة والآيات التي تقع في وسطها، وهي فرضية خاطئة وخطيرة التداعيات؛ لأنها تحدّ من ملاحظة الحكمة من تشريعات القرآن الكريم، وتحصرها في نطاق ضيق جدًّا.

التوصيات:

إنّ سؤال المنهج في دراسة نظم القرآن الكريم من أهم الأسئلة المركزية في الدراسات القرآنية الحديثة.

ولئن أدرك بعض دارسي القرآن الكريم المسلمين -قديمًا وحديثًا- جوانب من إعجاز نظم القرآن الكريم وبدائع من التناسب التركيبي بين أجزائه المختلفة، فإن سؤال المنهج في دراسة نظم القرآن الكريم قد ظلّ غائبًا في جُلّ المقاربات التراثية رغم ثرائها وتعدّدها، وحتى تلك الدراسات الإسلامية الحديثة التي حاولت التأصيل المنهجي لدراسة نظم القرآن الكريم، مثل: دراسات الإمام عبد الحميد الفراهي القيّمة في هذا المجال، لم تنل بعدُ من التمحيص والمتابعة والاختبار التطبيقي ما تستحقّ.

ولئن حرّك منهج البلاغة السامية بعض المياه العلمية الراكدة في هذا الجانب، فإنّ الطريق إلى تقديم منهج علمي متماسك في دراسة نظم القرآن الكريم ما تزال تحول دونه عقبات، منها: تفرُّق المفاهيم التي تناولَت نظم القرآن في كتُب التفسير وعلوم القرآن وعلوم البلاغة وغيرها، ومنها الحاجة إلى المقارنة بين ما تم إنجازه في هذا الحقل خلال القرن الماضي على المستويين الإسلامي والغربي، ومنها أن دراسة هذا الموضوع المهم تتطلب الاطلاع

المكثف على ما قيل حول هذا الجانب في التراث الإسلامي من جهة، وامتلاك أدوات علوم اللسانيات الحديثة والقدرة على توظيفها من جهة أخرى.

وفي سبيل تذليل العقبات التي تحُول دون وجود منهج علمي جديد ومتكامل في دراسة بنية القرآن الكريم تقترح الدراسة:

أولًا: إعادة جمع وقراءة المفاهيم المتعلقة بدراسة نظم القرآن الكريم في التراث الإسلامي، مثل: كتب إعجاز القرآن، وعلم المناسبة، وعلوم البلاغة، وتطبيقاتها في التراث التفسيري بهدف استخلاص أهم القواعد التي تتضمنها، وتصنيفها.

ثانيًا: العكوف على مراجعة المقاربات المتعددة التي ظهرت خلال القرن العشرين حول بنية القرآن الكريم سواء في حقل الدراسات الغربية، مثل: دراسات أنجليكا نويفرث (Angelika Neuwirth)، ونيل ربنسون (Neal Robinson)، وماثياس زاهنير (Mathias Zahniser)، وميشيل كويبرس (Michel Cuypers)، وريموند فارين (Raymond Farrin) وغيرهم، ومقارنتها بالمقاربات الإسلامية الحديثة لنظم القرآن الكريم مثل: دراسات عبد الحميد الفراهي، وأمين الإصلاحي، وسعيد حوّى، ومحمد عبد الله دراز، ومحمود البستاني، وسلوى العوّا، وغيرهم، بهدف استخلاص أهم ما تضمنته هذه الدراسات على المستويين النظري والمنهجي.

ثالثًا: العمل على توظيف الأدوات النظرية والإجرائية التي توفرها مناهج اللسانيات الحديثة وأهم ما توصلت إليه في دراسة بنية النصوص وتحليلها، بعد مواءمتها لدراسة نظم القرآن الكريم.

آمل أنه إذا استطعنا أن ننجز شيئًا في هذا المجال وقمنا بدراسات تطبيقية للنتائج المتوصل إليها من خلال القرآن الكريم نفسه، فقد نصل إلى الإعلان عن ميلاد منهج جديد في دراسة نظم القرآن الكريم.

وعلى الله قصد السبيل

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد

المصادر:

- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، (القاهرة: مكتبة الإيمان ١٩٩٧).

- التحليل البلاغي طريقة جديدة لإدراك معاني الكتاب المقدّس، رولان مينيه، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس ع١، ٢٠٠٣.

- التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، ط١ (مشهد: مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة).

- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، (تونس: دار سحنون ١٩٩٧م).

- التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، محمد فخر الدين الرازي، ط١، دار الفكر ١٩٨١م.

- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم، بإشراف الدكتور/ مصطفى مسلم، ط١ (الإمارات: جامعة الشارقة ٢٠١٠).

- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي، ط١ (الهند: الدائرة الحميدية ٢٠٠٠).

- تفكيك الاستعمار في الدراسات القرآنية، جوزيف لمبارد (Lumbard Joseph) ترجمة: حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط: https://tafsir.net/translation/5

- التناص: المفهوم وخصوصية التوظيف في الشعر المعاصر، المختار حسني، ط١ (الجزائر: دار التنوير ٢٠١٣م).

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (الرياض: دار عالم الكتب ١٤٣٦هـ).

- دليل تدريبي للتحليل البلاغي للقرآن الكريم: مثال سورة الحاقة (٦٩)، ميشيل كويبرس، منشور على الرابط: https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers

- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار الفكر العربي).

- طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدس ومن الحديث النبوي الشريف، رولان مينيه وآخرون: ط٢ (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤).

- في نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨).

- في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٦).

- القرآن خطيًّا؛ دراسة في الترتيب الزمني لسور القران في كتاب «تاريخ القرآن»، إيمانويلا ستيفانيدز (Emmanuelle Stefanidis) ترجمة: حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، على الرابط: https://tafsir.net/translation/29

- مبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني من خلال علم المناسبات، شوقي البوعناني، ط١ (المغرب: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع ٢٠١٨).

- المعجم الحديث عبري- عربي للمترجم وللطالب الجامعي، ربحي كمال، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٢).

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل ١٩١١).

- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، (الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٧).

- مناهج الحركات النقدية للكتاب المقدس في الغرب النقد البلاغي أنموذجًا، هشام مباركي، مؤمنون بلا حدود على الرابط: www.mominoun.com

- منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم: دراسة وصفية نقدية، محمد يسلم المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط: https://tafsir.net/research/41

- المنهج البنائي في التفسير، محمود البستاني، (بيروت: دار الهادي ٢٠٠١).

- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر رشواني، ط١ (حلب: دار الملتقى ٢٠٠٩).

- نظرة جديدة إلى نظم القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: يوسف حبيب نقولا حبيب، على الرابط:

https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers